رحلة إلى جزر الجنة

الكتاب: رحلة الي جزر الجنة
المؤلف: سامية علي
تصميم الغلاف: محمود رأفت
تدقيق لغوي: د/محسن معالي
تحرير: أحمد شهاب الدين
رقم الإيداع: 2019/27186
الترقيم الدولي: 978-977-778-200-5

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02-338560372
info@noonpublishing.net

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

سامية علي

رحلة إلى جزر الجنة

للنشر والتوزيع

BURMA
LAOS
THAILAND
CAMBODIA
VIETNAM
PHILIPPINES
BRUNEI
DARUSSALAM
MALAYSIA
SINGAPORE
INDONESIA
500 km
N

هناك ثلاثة أنواع من الرحلات
أن تسافر...
وأن تقرأ الكتب...
وأن تقرأ كتب الرحلات

أنيس منصور

المقدمة

عندما كنت صغيرة، قرأت للأستاذ الكبير أنيس منصور، وجذبني كتاباته عن الرحلات، وكثيرًا ما كنت أحلم، وأعيش في حلمي، أني أزور العالم وحدي، نعم وحدي، بلدًا بلدًا، وأكتب عنها، عن كل شيء فيها.

وعندما كبرت، حققت حلمي، لقد كان أنيس منصور سببًا مباشرًا في زياراتي للعديد من البلدان، تأثرت به إلى الدرجة التي عندما ذهبت إلى الهند تتبعت خط سير رحلته، كما سردها في كتابه حول العالم في ٢٠٠ يوم، وحظيت بالكثير من المتع والمغامرة بفضله، وخرج بعد عشر سنوات من السفر والترحال في هند العجائب كتابي الأول «ناماستي».

السفر في كتب الأستاذ انيس منصور وكتب أدب الرحلات شغف لذيذ، يثير غيرتك، ويحفزك، لرؤية مشاهد، وتنفس روائح، وتجربة مذاقات ونكهات مختلفة، ولكن في الواقع عندما تكونين أنثى، وتسافرين وحدك، فإنها مغامرة، نعم مغامرة.

مغامرة قد تستحق الخوف، لكني قاومت خوفي بالاستمتاع، ليس فقط بالاستمتاع بالتعرف على أشخاص جدد، ولغات جديده أسمعها لأول مرة، لكني استمتعت بالخوف.

أليس صحيًا أن نخاف؟ أليس مدهشًا أن تألف رعشاته ونبضاته؟

والنتيجة..

في إندونيسيا زرت جزيرة جاوة التي تملك وحدها ١١٢ بركانًا منهم ١٥ نشطًا.. وزرت جبل كراكاتوا صاحب أكبر انفجار في التاريخ، وجبل بروموالذي مازالت أسطورته حية وتهمس للقرويين من أعماقه.

وفي مدينة يوجياكارتا زرت معبد بوروبودور أقدم الآثار البوذية في العالم.

وفي جاكرتا زرت مسجد الاستقلال أكبر مسجد في جنوب شرق آسيا

وشاهدت إنسان الغاب الأول في بيئته الطبيعية في الغابات المطيرة في سومطرة.

وفي الفلبين زرت أعجوبة العالم الثامنة التي أنشاها شعب أيوغاو قبل ٢٠٠٠ عام في جزيرة لوزون، واكتشف جزيرة بوهول ورأيت حيوان الترسير المهدد بالانقراض وأشجار المانغروف الكبيرة وتلال الشوكولاتة العملاقة

وحضرت احتفال رأس السنة الصينية في بينوندو(أقدم حيٍّ صيني في العالم) ـ وسرت ليلًا في شوارع الأضواء الحمراء في مانيلا.

وركبت الجيبيني، ورأيت كيف يأكل الناس البالوت جنين البط الملقح، واستنشقت هواء نقيًا خالي من أثار النيكوتين.

في هذا الكتاب، آثرت أن أعرض دولتين مميزتين، وحبيبتين إلى قلبي، إندونيسيا والفلبين، لسبب روحاني، وآخر اقتصادي، الأول لأنه في تلك البلاد، بالإضافة إلى الاستجمام، هزَّتني ثقافاتهم العتيقة، وطريقة نظرتهم إلى الحياة، ودفعتني إلى إعادة التفكير في حياتنا نحن العرب، بطريقة أشد مقارنة بالبلاد الأخرى.

السبب الآخر اقتصادي، لأنها دول قليلة التكلفة، متعة لن تكلفك الكثير، يمكن لمتوسطي الدخل أن يسافر إليها مرة كل سنة أو سنتين، دون أن تأخذ من ميزانيته الكثير.

سامية علي
2019-9-2

الفصل الأول

إندونيسيا

١

اكتشف جاكرتا

قبل أن أبدأ رحلتي إلى إندونيسيا، نصحني أصدقائي بأن أذهب مباشرة إلى «بالي»، وألّا أتوقّف في جاكرتا، قائلين لي: «إنَّ جاكرتا لا تستحق التوقُّف فيها، كما أنها مدينة مزدحمة وصاخبة»

لكنني بالفعل كنت قد حجزت إلى جاكرتا كمحطّة أولى، قبل الذهاب إلى «بالي».

وفي الطائرة كنت أجمع المعلومات التي حصلت عليها، وأرتب خط سيري للأماكن التي أرغب في زيارتها.

وأفكر هل فعلا جاكرتا تستحق أن أمكث بها يومين أو ثلاثة؟

وبعد رحلة استغرقت ١٣ ساعة، وجدت نفسي أخيرًا في مطار جاكرتا الدولي «سوكارنو هاتا»، Soekarno-Hatta.

وجاكرتا هي عاصمة إندونيسيا وأكبر مدنها، ولأن السفر لإندونيسيا لا يتطلب فيزا للمصريين لذلك لم أستغرق في المطار سوي بضعة دقائق وأخذت حقيبتي وخرجت من المطار.

كان ينتظرني أمام صالة الوصول السائق الذي كنت قد رتب مسبقًا حجزًا معه عن طريق أحد الأصدقاء، حاملا لافتة صغيرة كتب عليها اسمي باللغتين العربية والإنجليزية.

استقبلني مبتسمًا ومرحِّبًا بي باللغة العربيَّة «مَرحَبًا بكِ في إندونيسيا».

استغربتُ كثيرًا أنَّه يُجيد العَربيَّة، ثم عرَّفني على نفسه وأخبرني أنَّ اسمه «يوسف»، وكان يعمل سائقًا بالسفارة السعوديَّة لمدَّة خمس سنوات، تعلَّم فيها العربيَّة وأنه مرشد سياحي ماهر يعرف الكثير في إندونيسيا ويمكنني الاعتماد عليه.

أم كلثوم في جاكرتا

تنفست الصعداء، «الحمد لله إنه يتحدث العربية « لأن أغلب الإندونيسيين لا يتحدثون الإنجليزية، وركبنا السيارة، وعندما أدار محرك السيارة إذا بصوت أم كلثوم يصدح بأغنية « من أجل عينيك عشقت الهوى»

«أم كلثوم في جاكرتا»!

يبدو أنه يحاول أن يجذبني ليكون مرشدي في إندونيسيا أو ربما يحب أم كلثوم.

وسألته: هل تعرف من تغني؟

أجاب : بالطبع ومن لا يعرف كوكب الشرق. إذا تريدين مطربًا آخر فبإمكاني أن أغير الأغنية.

أجبتها: لا اتركها.

وبعد أن انتهت أغنية أم كلثوم تعالت أغنية الأماكن لمحمد عبده، وظل ألبوم الذكريات يدور من مطرب عربي لآخر.

حركة المرور في جاكرتا سيئة للغاية مثلها مثل كل العواصم، فجاكرتا يعيش فيها حوالي ١٠ ملايين شخصًا، من إجمالي حوالي ٢٦٤ مليون نسمة عدد سكان إندونيسيا.

ولاحظت أن الكثير من الناس يسيرون على الأقدام أو يركبون الدرجات الهوائية والدراجات النارية الي جانب السيارات والحافلات التي تملأ الشوارع.

ثم تحدثت مع يوسف قائلة « إن جاكرتا مزدحمة للغاية».

فرد منزعجًا : إنه رغم وجود العديد من وسائل النقل الجيدة في البلد إلا أن الناس تفضل استخدام سيارتهم الخاصة، ويعتبرون القيادة نوعًا من الرفاهية، وبالتالي يحدث هذا الازدحام المروري.

ورحت أتامَّل المشاهد المبعثرة من حولي، إشارة مرور مزدحمة، باعة جائلين ناطحات السحاب، أمطار موسمية خفيفة تربك حركة السائرين في

الطريـق، فيفتحـون مظلاتهـم الملونـة، مشـاهد أشـبه بلوحـة مكتظـة بالتفاصيـل المبعـثرة.

أشـاهدهم، وأنـا منسـجمة، وأكـوِّن صـورة في ذهنـي عـن جاكرتـا، وكيـف تبـدو في الصبـاح، حتـى قاطـع يوسـف انسـجامي وتأمـلي متسـائلا عـن خطتـي في المدينـة وعـن الأماكـن التـي أودُّ أن أزورهـا، وأخبرتـه أنـه ليـس لـديَّ برنامجًـا مُحـدَّدًا.

فأخـذ يحدثنـي عـن جاكرتـا وأنَّ بهـا العديـد مـن المعـالم الثقافيّـة والتاريخيَّـة وحتـى الترفيهيَّـة، وأنهـا مهملـة مـن قبـل السُّـياح، وقـال بغضـب: «إنَّ العديـد مـن السُـياح يأتـون إلى جاكرتـا كمحطـة ترانزيـت أثنـاء ذهابهـم إلى وجهـات أخـرى، وجاكرتـا تسـتحقُّ التوقُّـف فيهـا وزيارتهـا، وزيـارة المـدن المحيطـة بهـا» وظـل يحـكي لي عـن المـدن القريبـة مـن جاكرتـا، ويفيـض في وصـف جمالهـا، جمالهـا وأننـي إذا لم أزورهـا سـأندم كثـيرًا.

شـعرت أن يوسـف حقًـا يعـرف الكثـير، وقـررت أن يكـون دليـلي في جاكرتـا، إنـه تقريبًـا يعـرف كل شيء فيهـا، وإجادتـه للعربيـة سـوف تسـاعدني.

* * *

طبول وصلاة

وصلت الفندق، وقد فضلت أن يكون في وسط المدينة، قريبًا من المعالم السياحية، لذلك كان اختيار «أستون راسون» اختيارًا مثاليًا.

كانت الساعة العاشرة صباحًا، واليوم جمعة، كنت مرهقة جدًا من الرحلة الطويلة التي قطعتها، وكنت بحاجة لبعض الراحة، وبالتالي صعدت إلى غرفتي، ووضعت لافتة عدم الإزعاج لعلي أحظى بالنوم لبضع ساعات.

أغمضت عيني قليلًا، ثم فجأة بدأت أسمع أصوات دق طبول عملاقة تهزُّ أرجاء المكان.

هل أنا في حلم؟.

فتحت عيني ثم نظرت حولي، أنا مستيقظة، لكن صوت الطبول مازال يدق في أذني، ما هذا؟! هل هناك فرح ما ؟ هل تقام الأفراح في إندونيسيا ظهرًا؟ يا إلهي.

بدأت دقات الطبول تعلو، وتتصاعد، أكثر من صوت قادم من اتجاهات مختلفة متزامنًا مع أذان الجمعة.

لقد طار النوم من عيني، وشعرت بغضب شديد، لقد اخترت هذا الفندق بعد قراءتي لآلاف التقييمات له، فكيف يعقل أن يقام حفلا في الصباح.

اتصلت بخدمة الاستقبال، وتساءلت بانزعاج شديد عن سبب دق الطبول؟ وجاء رد موظف الاستقبال فاترًا: « إنه صوت الأذان».

أعرف أنه صوت الأذان، أنا أتساءل عن صوت الطبول، ولماذا تقرع مع صوت الأذان، هل أنتم على وشك الحرب؟.

ضحك الرجل قائلا: لا لسنا على وشك الحرب، بل هنا في إندونيسيا يُستخدم الطبول تقليديًا بالترافق مع الآذان من أجل الدعوة للصلاة.

«طبول و صلاة!»

هل هذه مزحة؟!

أقفلت الهاتف وأنا لا أصدق ما قاله، فقمت بفتح شرفة غرفتي، نظرت

يمينًا وشمالا، حقًا لا يوجد حفل، حتى حمام السباحة كان خاليًا من الناس، لكن المدهش في الأمر أنني وجدت في جهة اليمين بجوار الفندق مسجدًا ضخمًا وأمام المسجد ينتصب طبلا عملاقًا لأول مرة أراه بحياتي أمام مسجدٍ.

لم يكن الأمر مِزاحًا، بل كان يفوق حدود تصوراتي، حقًا هناك أمور بالحياة لا يكفي قط أن تسمع عنها أو تشاهدها عبر قناة «ناشيونال جيوغرافيك»، كالسفر الذي يحمل سبع فوائد أهمها على الإطلاق أنك ترى، لقد جعلتني تجارب السفر أن أرى.

وقد رأيت بعيني التي طار النوم منها، وطرحت فكرة النوم جانبًا الآن، وقررت أن أستبدلها بجولة في المدينة.

* * *

متنزَّه إندونيسيا المُصَغَّر

اتصلت بيوسف ليأتي، ويقلني، قررت أن أبدأ جولتي في جاكرتا بزيارة مكان كنت قد قرأت عنه وهو «تامان ميني إندونيسيا انداه»، (TMII) أي متنزَّه إندونيسيا المصغَّر، وتقع في شرق جاكرتا، ليعطيني لمحة عن الثقافة الإندونيسية، وهو عبارة عن نماذج مصغَّرة لأشهر المعالم السياحيَّة في إندونيسيا لتظهر سحرها وجمالها الآتي من ١٧٥٠٠ جزيرة.

تبعد الحديقة حوالي ١٥ كم عن الفندق ولأن اليوم الجمعة فلم تكن الشوارع مزدحمة وحركة المرور خفيفة، ولذلك قطعنا الطريق في حوالي عشرين دقيقة.

وصلت المتنزه الذي يبلغ مساحته ٣٧٠ فدانًا، وقمت بقطع تذكرة دخول وسعر التذكرة هو ١٥٠٠٠ روبية حوالي (١ دولار أمريكي) للشخص الواحد بالإضافة إلى رسوم دخول السيارة، والتي تبلغ أيضًا ١٥٠٠٠ روبية، وهذا ليس كل شيء حسبما أخبرني الموظف بأن هناك تذاكر أخرى للمتاحف أو الحدائق، ويختلف السعر من مكان لأخر.

في «تامان ميني إندونيسيا انداه» لست بحاجة إلى مرشد سياحي لأن كل شيء واضح في المتنزَّه وتوجد كتب استرشادية ومنشورات مشروح فيها كل شيء بالتفصيل وعلامات إرشادية في كل مكان وهناك أيضًا مكاتب للاستعلام عن أي شيء، لذلك لن تضيع وحدك في الحديقة.

توجد وسائل كثيرة للتجول في المتنزَّه الواسع كالدراجة مثلا وهي تستأجر بالساعة وتكلفة الساعة ١٥٠٠٠ روبية أو سيرًا على الأقدام أو حتى تستقل سيارتك أو مشاهدتها من أعلى بالتلفريك.

متنزَّه إندونيسيا المُصَغَّر

بوابة ساحرة مفتوحة على التاريخ

وقد فضلت أولًا أن أذهب سيرًا على الأقدام وكان المكان الأول الأقرب من مدخل الحديقة هو «أنجونجان» Anjungan أو المنازل التقليدية الموجودة في جميع أنحاء الأرخبيل الإندونيسي من آتشية إلى كاليمانتان وسولاويزي وجاوة وبابوا، في
بيوت صغيرة تعرض التاريخ والفنون والحرف التقليدية مثل منزل مينانجكابو من غرب سومطرة، وتونغا تونغكونان من جنوب سولاويزي، ومشيت عبر بوابة جزيرة بالي الساحرة ورأيت المنحوتات المميزة للعمارة البالية التقليدية.

وبعد أن أنهيت زيارة معظم البيوت ذهبت إلى جولة المتاحف وتحوي الحديقة ١٩ متحفًا، وهي مثل المتاحف العادية مع العديد من المعروضات، وشكل كل متحف من الخارج يمثل موضوعه.

بدأت بمتحف «عصمت» الذي أخذني إلى بابوا المقاطعة الغربية لإندونيسيا التي تشتهر بموقعها في راجا أمبات للغوص.

لكن بعيدًا عن الغطس يعرض المتحف عادات وتقاليد قبيلة عصمت، وزرت متحف النقل الذي يعرض مجموعة متنوعة من السيارات من جميع أنحاء العالم وسيارات إندونيسية مثل سيارات البيكاك، وهي سيارة أجرة ثلاثية العجلات وعربة الخيول الخشبية المسماة دوكار.

وزرت أيضًا متحف كومودو المخصص للحيوانات النادرة ومتحف الرياضيات المائية ومتحف «بورنا بهاكتي بيرتيوي» وهو متحف يعرض الهدايا التذكارية والأعمال الفنية التي تلقاها الرئيس سوهارتو خلال فترة حكمة للبلاد التي دامت ٣٠ عامًا، ومتحف النفط والغاز وغيرهم .

وأثناء تجولي رأيت في وسط الحديقة بحيرة اصطناعية كبيرة تسمَّى بحيرة إندونيسيا المصغرة، تضم البحيرة مجموعة من الجزر الصناعية المصممة لتكرار الأرخبيل الإندونيسي.

وزرت أيضًا حدائقًا للزهور الجميلة وبها العديد من أنواع الورود المميزة ونباتات الصبار، والأعشاب، وحديقة الطيور.

وتامان ميني هي فكرة السيدة الأولى السابقة إيبوتيان سوهارتو، بدأ بنائها في عام ١٩٧١ وافتتحت رسميًا في ٢٠ إبريل عام ١٩٧٥ لتمثل المحافظة على الثقافات الإندونيسية المختلفة وتطويرها كوسيلة لتعزيز وحدة الأمة وأيضًا للتعبير عن التسامح الديني في إندونيسيا وتعايشها السلمي بين مختلف الديانات.

أقف الآن أمام صف واحد مهيب من دور العبادة المختلفة التي تستخدم أيضًا بغرض الصلاة فيها.

سبعة مبان دينية يمثلون الديانات والاعتقادات في إندونيسيا، وهم مسجد بانجانديبونيغورو، وكنيسة سانت كاترينا الكاثوليكية، وكنيسة هللويا البروتستانتينية ومعبد بيناتاران أجونج كيرتابوميبالينيز الهندوسي، المركز الروحي Sasana Adirasa Pangeran Samber.

ومعبد دوبيا أراما البوذي، ومبنى للصوفيين والروحانين، ومعبد كونغ مياو الكونفوشيوسي.

قد يبدو الوصف وكثرة الأماكن وكأنها مكان مكدس بالمباني، لكن في الحقيقة الحديقة مصممة بشكل ذكي من الفلكلور الإندونيسي الشهير. "keong mas" ليشبه الحلزون الذهبي.

مرَّ نصف اليوم ومازال لدى الكثير لأراه، وكانت أنسب فكرة لرؤية باقي المعالم هو بركوب التلفريك والاستمتاع بمشاهدة الحديقة من أعلى.

* * *

جولة في جاكرتا

في اليـوم التـالي دعـاني بعـض الأصدقـاء الإندونيسـيين لجولـة في المدينـة وزيـارة بعـض المعـالم المشـهورة.

لم أكـن بحاجـة إلى التفكـير في خـط سـير الرحلـة، فمجـرد وجـودي مـع أصدقـاء محليـين كفيـلًا بـأن يشـعرني أننـي سـأمضي وقتًـا رائعًـا.

بدأنـا جولتنـا بزيـارة بـرج «مونـاس» أو النصـب التـذكاري، ويقـول الإندونيسـيون : (إنـك إذا لم تقـم بزيـارة مونـاس فإنـك لم تـزور جاكرتـا) ويبـدو أن هـذا هـو السـبب الـذي جعـل أصدقـائي يبـدأون جولتنـا بزيارتـه.

يقـع النصـب وسـط سـاحة مرديـكا وسـط جاكرتـا، وهـذا النصـب بنـي تحـت إشراف الرئيـس (سـوكارنو) ليكـون رمـزًا للحريـة والاسـتقلال بإندونيسـيا.

يبلـغ ارتفـاع بـرج مونـاس ١٣٢ مـترًا، ويعلـو قمتـه شيء يشـبه شـعلة النـار التـي ترمـز لـروح الشـعب الإندونيـسي، وهـذه الشـعلة مصنوعـة مـن البرونـز ومطليـة بـ ٣٥ كيلـو جرامًـا مـن الذهـب الخالـص ووزنهـا ١٤,٥ طنًـا، ويمكـن رؤيتهـا مـن أماكـن عديـدة في جاكرتـا.

صعدنـا بالمصعـد لأعـلى الـبرج حتـى وصلنـا إلى قمتـه ورأيـت المدينـة مـن أعـلى. وزرنـا بعـد ذلـك معـرض اللوحـات الفنيـة الموجـود في مونـاس وهـو يعـرض معروضـات تاريخيـة عـن إندونيسـيا رسـمها فنانـون إندونيسـيون.

وهـذا النصـب يحتـوي عـلى سـاحات خـضراء، وممـرات للمشـاة وأزهـار جميلـة وملاعـب كـرة قـدم ومتنـزه واسـع.

وبعـد الانتهـاء مـن زيـارة بـرج مونـاس ذهبنـا سـيرًا عـلى الأقـدام إلى زيـارة (مسـجد الاسـتقلال) الـذي يبعـد حـوالي ٨٠٠ متـر مـن بـرج «مونـاس» لأرى أمامـي أكـبر مسـجد في جنـوب شرق آسـيا، وثامـن أكـبر مسـجد عـلى مسـتوى العـالم مـن حيـث المسـاحة..

هـذا المسـجد صممـه مهنـدس مسـيحي مـن شـمال سـومطرة اسـمه فريديريـك سـيلابان عـام ١٩٥٤، فكـرة بنـاء المسـجد كانـت فكـرة الزعيـم المسـلم

وحيد هاشم وأشرف على عملية البناء الرئيس سوكارنو، واستغرق بناؤه ١٧ عامًا، وسمِّي بالاستقلال لأنه بني بعد استقلال إندونيسيا.

وهذا المسجد يستوعب نحو ٢٠٠,٠٠٠ مُصلٍّ، وله قبتان طول الواحدة منها نحو ٤٥ مترًا ومأذنة يبلغ طولها ٩٠ مترًا، وسقف المسجد تزينه الزخارف الإسلامية وعلى جدرانه كتبت بعبارات بارزة لفظ الجلالة الله ومحمد.

ولا يقتصر المسجد على تلاوة الصلاة فقط بل به أيضًا يوجد به فصول دراسية لتحفيظ القرآن الكريم والتوعية الدينية.

والمسجد مجاور لكاتدرائيَّة جاكرتا التي تمَّ تأسيسها عام ١٩٠١ لتكون كاتدرائيَّة للروم الكاثوليك، وهي أيضًا مقرُّ رئيس أساقفة الروم الكاثوليك في جاكرتا، وهي مبنيَّة على الطراز المعماري القوطي، من الطوب الأحمر السميك (الذي كان الحجر الأساسي لبناء الكنائس في ذلك الوقت) والمُغطَّى بالجصِّ، ووجودها في هذا المكان ليس بمحض الصدفة، وإنما اختار مكانها الرئيس «سوكارنو» كنوع من التعبير عن التنوع والتعايش الديني في إندونيسيا.

مسجد الاستقلال

ملك الفواكه

وأثناء نزهتي في المدينة لاحظت وجود الكثير من الحدائق وأغلبها حدائق مجانية وعرفت أنهم يعلمون الأطفال في المدارس فوائد زراعة النباتات والأشجار.

ولذلك فإن أجمل متعة في إندونيسيا هي السير على الأقدام والتمتع باللون الأخضر الزاهي، وإندونيسيا كلها خضراء لأن الأمطار تمتد لستة أشهر متتابعة من نوفمبر إلى إبريل.

وأثناء تمشيتنا كنا نتحدث عن الطعام والخضروات والفواكه المحلية، وما هي أنواع التوابل التي يستخدموها في أطباقهم اليومية ؟وتحدثت معهم أيضًا عن الفواكه اللذيذة والغريبة التي تشتهر بها دول شرق آسيا.

ثم اقترح أحد الأصدقاء الذهاب إلى إحدى الأسواق المحلية لشراء بعض الفواكه.

وما أن وصلنا السوق حتي سحرت عيني ألوان الفواكه المحلية الطازجة الملفتة للانتباه، يبدو أن مناخ إندونيسيا مناسب تمامًا لزراعة تلك الأنواع المختلفة من الفواكه وقد قرأت في إحدى المواقع تصريحًا لوزارة الزراعة في إندونيسيا إنه يوجد ٦٠ نوعًا من الفاكهة لديها القدرة على النمو في إندونيسيا.

الملفت للنظر أنه في كل مكان بالسوق بل بإندونيسيا عمومًا ستري الموز، أنواع عديده من الموز منها موز صغير الحجم، ويطلقون عليه «موز التفاح» وهو لذيذ جدًا، ومن هنا جاءت تسميته، وموز أخضر كبير وهو يستخدم كرقائق مقلية. وموز أحمر وهو لين وله نكهة حلوة وطعمه مثل الموز العادي، وغالبًا ما يستخدم في الحلويات وجوز الهند الذي قلما يخلو شاطئ بدون أشجاره، والمانجوستين التي ليس لها صلة بالمانجو لا من قريب ولا ومن بعيد فاسمها مخادع بعض الشيء لكنها فاكهة تمتاز بحلاوتها ولذلك وهم يطلقون عليها « ملكة الفواكه» وهي عبارة عن ثمرة

أرجوانيـة اللـون بعـد أن تنـزع قشرتهـا سـتجد لبًـا أبيـضَ حلـوًا كبـير الحجـم منتفخًـا يشـبه فصـوص الثـوم لكنـه حلـو.

لقـد كان اكتشـاف تلـك الثمـرة في العـالم الغـربي اكتشـافًا نـادرًا حتـى إنهـم حاولـوا زراعتهـا في بلادهـم لكـن المحـاولات جميعهـا بـاءت بالفشـل.

وقـد وصفهـا الكاتـب الـروسي إيفـان جونشـاروف الـذي قـام برحلـه طويلـة إلى البحـار الجنوبيـة في القـرن التاسـع عـشر أثنـاء توقـف سـفينته في سـنغافورة في كتابـه "Frigate pallada" : (بعدمـا قطعـت المانجوسـتين وجدتهـا بـاردة طازجـة، حساسـة، وعندمـا تذوقتهـا حلـوة، حامضيـة بشـكل خفيـف).

ولم يقتـصر حـبُّ المانجوسـتين عـلى العامـة فقـط فعندمـا تـم إخبـار الملكـة فيكتوريـا ملكـة إنجلـترا عـن فاكهـة أرجوانيـة لذيـذة تنمـو في جنـوب شرق آسـيا وعـدت الملكـة بمنـح لقـب فـارس لأي شـخص سـيحضرها إليهـا، لكـن كل المحـاولات بـاءت بالفشـل والسـبب الرئيـسي في فشـل إحضارهـا هـو أنـه في القـرن التاسـع عـشر كانـت الرحلـة مـن جنـوب شرق آسـيا تسـتغرق أشـهرًا وبالطبـع فـإن الفاكهـة الحساسـة ستفسـد قبـل الوصـل إلى إنجلـترا.

وأغلـب الفواكـه في السـوق أسـعارها معقولـة وتبـاع بالقطعـة، وقبـل الـشراء يمكنـك طلـب تـذوق الثـمار.

وإذا كان للفواكـه ملكـة، فبالتأكيـد سـوف يكـون لهـا ملـك، ورحـت أتسـاءل عـن ملـك الفواكـه في السـوق حتـى أشـار البائـع عـلى «الدوريـان».

لم أتخيـل أبـدًا أن تكـون أكـثر فاكهـة مثـيرة للجـدل هـي «ملـك الفاكهـة ولا أعـرف سـبب تسـميتهم للدوريـان بملـك الفواكـه هـل بسـبب شـكله المميـز وحجمـه الكبـير، أم بسـبب جلـده الأخـضر الشـائك الـذي يحيـط بالبـذور والملفـوف باللحـم الأصفـر اللـزج. أم بسـبب ثقـل حجمـه الـذي يشـبه كُـرة بولينـج ؟.

وقـررت أن أشـتري واحـدة، مـددت يـدي لأخـذ واحـدة، وهنـا قـال أحـد الأصدقـاء : لا.

هذه الفاكهة ليست جيدة، وطعمها سيئ جدًا.

ويبـدو أنـه ضايـق البائـع بقولـه، وأصرَّ البائـع أن أجربهـا قائـلا عـلى سـبيل المـزاح «مجانًـا».

ولا يوجد شيء مجاني بالطبع. وقد دفعني الفضول لشراء واحدة وتذوقها، وسألني البائع إذا كان لدي خبرة في اختيار الدوريان ؟ أم يختار لي واحدة؟. خبرة!

أنا لم أجرب الدوريان من قبل! وسألته هل شراء الدوريان يتطلب خبرة؟

فأجاب إن اختيار «الدوريان» هو نوع من الفن وأول شيء يجب أن يكون الجذع أخضر، ثم شمَّه بعد ذلك، فإذا كانت رائحته قوية فهو علامة على أنه جيد ثم يجب وزن القطعة لأنها إن كانت ثقيلة فهناك احتمالان، الأول أن يكون جلدها سميك والثاني أن بذورها كبيرة مما يعني أن اللحم سيكون رقيق.

يبدو أن الموضوع كبير ومعقدًا، وبدافع الفضول اخترت واحدة بعد إتباع كل التعليمات والتفاصيل الذي قالها البائع، وقام البائع بقطعها بالساطور لجزأين وكشف عن اللحم الأصفر داخله، وكأنه يشبه لؤلؤة في محارة.

وكنت أتساءل بيني وبين نفسي هل «الدوريان» حقًا يستحق كل هذا الوقت الذي أخذناه.

ربما التجربة ستجيب.

أخذت قطعة بدأت في تذوقها وأعطيت الباقي لأصدقائي.

كان الأمر غريب بعض الشيء وردود أفعالنا كانت مختلفة، بالنسبة لي طعمها كان يشبه الخضروات وشعرت بحاجة لشرب الماء ولم أسألهم عن طعمها لأنه كان يبدو عليهم تأثيرها.

وقد وصف عالم الطبيعة (ألفريد راسل والاس) الدوريان في كتابة :

(أرخبيل الملايو) على النحو التالي « الكسترد الغني الذي يشبه الزبدة بنكهة عالية مع اللوز يعطي أفضل فكرة عنها، ولكن عند اختلاطهم تشعر بنكهات مختلفة مثل الجبن بالكريمة، وصوص البصل، والكرز البني وغيرها من النكهات المتضاربة» « إن تناول الدوريان هو شعور جيِّد يستحق رحلة إلى الشرق لتجربته، حسنًا... رأيي هو رأي شخصي للغاية لأن « ملك الفواكه ذو الرائحة الكريهة» ليس سوى ذوق مكتسب».

وهناك جدل كبير حول الدوريان وهم يطلقون عليه لقب» الفاكهة سيئة السمعة» و» ذو الفال السيء» والغريب في الأمر أنهم ألصقوا بعض

الحـوادث لـه، كنـت أعتقـد في البدايـة أنهـا نـوع مـن المـزاح، لكنـي تفاجـأت أن البعـض يصـدق ذلـك.

ولعـل أغـرب الحـوادث التـي لصقوهـا للدوريـان « أنـه السـبب وراء تحطـم رحلـة طـيران مانـدالا رقـم ٩١ في منطقـة سـكنية مكتظـة بالسـكان بعـد لحظـات مـن إقلاعهـا في مدينـة ميـدان شـمال سـومطرة عـام ٢٠١٥، وأسـفر الحـادث عـن مقتـل ١٤٩ شـخصًا، مائـة منهـم مـن ركاب الطائـرة و٤٩ شـخصًا كانـوا عـلى الأرض، ونجـا ١٧ راكبًـا فقـط، ويقـال أن معظـم الناجـين كانـوا جالسـين في مؤخـرة الطائـرة».

ولم تعـثر التحقيقـات عـلى وجـود عيـب في المحـرك لكنهـم لاحظـوا أن الطائـرة كانـت محملـة ب ٢,٧ طـن مـن الدوريـان الطـازج، وربمـا لهـذا السـبب ألصقـوا التهمـة إلى الدوريـان.

وفاكهـة الدوريـان ممنوعـة مـن دخـول الفنـادق والطائـرات وسـيارات التاكسي بسـبب رائحتهـا الكريهـة التـي تـدوم لمـدة طويلة.

* * *

٢

جزيرة جاوة

سياحة بين البراكين

أثناء مشاهدتي الأفلام الوثائقية عن البراكين وأنا صغيرة كان يتملكني شعور بالخوف والرهبة عند رؤيتي للحمم الحمراء التي تتدحرج ببطء على الجبل لكن ذلك الخوف لم يؤثر على رغبتي بمشاهدة أحد الجبال البركانية والمشي عليها.

كانت رحلتي الأولى للتنقل بين البراكين إلى جزيرة جاوة التي تمتلك وحدها حوالي ١٨ بركانًا نشطًا من إجمالي ١٠٠ بركان نشط في إندونيسيا، وإندونيسيا يوجد بها عدد كبير من البراكين أكثر من أي بلد آخر.

تتمتع هذه البراكين بمناظر خلابة وحضارات بأكملها تعيش حولها وهي أيضًا موطنًا للظواهر الطبيعية النادرة، وهذه الجبال البركانية هي جزء من حياة الناس اليومية، الذين يعيشون بجانبها.

كل بركان في إندونيسيا لديه حكايات وأساطير تدور حوله تلك الحكايات والأساطير تشكلت في أذهان الناس ويرونها للعامة.

البركان الذي هزَّ العالم

أحد أكثر البراكين شهرة في العالم هو بركان " كراكاتوا أو كاراتاو" Karakatoa الذي يقع في مضيق سوندا بين جزيرتي سومطرة وجاوة ويبعد بضعة ساعات قليلة عن جاكرتا.

وهناك العديد من شركات السياحة التي تقدِّم برامج سياحية للذهاب إلى كراكاتوا لأنه ليس من السهل الذهاب هناك بمفردك، بل يتطلب وجود دليل.

يتشارك الناس دائمًا قصة هذا البركان الرهيبة الذي انفجر في عام ١٨٨٣ محدثًا أكبر انفجار في تاريخ البشرية.

ويقال إن الانفجار كان أعلى صوت سمعه الإنسان الحديث، ودمَّر الانفجار أكثر
من ١٦٥ بلدةً في سومطرة وجاوة، وأودى بحياة ٣٦٠٠٠ شخص. وأن القوة التي
ثار بها البركان تعادل ١٠٠٠٠ قنبلة مثل هيروشيما.

وتحول المكان إلى حالة من الظلام الدامس الذي غطى أكثر من ١٥٠ ميلًا.

وفي عام ١٩٢٨ ظهرت جزيرة جديدة في نفس موقع البركان السابق أطلقوا عليها " آناككراكاتوا" والتي تعني " طفل كراكاتوا" ووصل إلى ٣٣٨ مترًا.

والرحلة تبدأ في الخامسة صباحًا، حيث ترسل شركة السياحة سيارة خاصة إلى الفندق لتقلك إلى شاطئ كاريتا في رحلة تستغرق حوالي ثلاث ساعات، وبعد ذلك تأتي رحلة الإبحار بالقارب السريع، والطريق بالقارب مسلٍّ جدًا فيكفي مشاهدة الأسماك، وهي تسبح في المياه ومشاهدة المنطقة.

استغرق القارب حوالي ساعة ونصف قبل أن تبدأ جزيرة آنامكراكاتوا في الظهور من خلال الضباب الكثيف، وبعد فترة قصيرة بدأت الجزيرة تتراءى حتى وصلنا إلى الشاطئ، وبدأنا المسير.

سرنا على أرض سوداء، وهي بالأساس رماد بركاني وبالتالي، فإن حذاءك سوف يحمل الكثير من ذكريات الماضي. تخلق التربة السوداء منظرًا طبيعيًا يشعرك أنك تسير على سطح المريخ.

البركان من بعيد يشبه الطفل الجامح الذي يلقي بنوبات غضب باستمرار ولذلك لا يُسمح للزائرين بالقرب من البركان أثناء نشاطه المرتفع، ولكن يكفي مشاهدة توهجه البرتقالي من سطح البر الرئيسي.

عندما كنت هناك كان البركان في حالة هدوء تقريبًا، ومع ذلك لم يسمح لنا بالتسلق إلى القمة، فلا يمكننا سوى تسلق حوالي ثلث الجبل.

هـل فكـرت مـن قبـل في الغـوص في جزيـرة بركانيـة ؟ كيـف يبـدو الـبركان مـن أسـفل؟ هكـذا سـألني منظـم الرحلـة قائـلا: إن الرحلـة تتضمـن أيضًـا الغـوص في الميـاه الدافئـة بفعـل الـبركان ومشـاهدة كيـف يبـدو الـبركان مـن أسـفل ومشـاهدة الشـعاب المرجانيـة والأسـماك الملونـة، لكنـي لم أكـن حريصـة عـلى الفكـرة.

لا يعيـش أحـد عـلى هـذه الجزيـرة البركانيـة الآن رغـم أنهـا وجهـة سـياحية هامـة ومحـط دراسـات واسـعة يجريهـا العلـماء المختصـون بالبراكـين.

* * *

الجبل العظيم

وهناك أيضًا بركان "سيميرو" Semeru أقدس بركان في إندونيسيا وأعلى جبل في جزيرة جاوة (رابع أكبر جزيرة في إندونيسيا)، وواحد من أكثر براكينها نشاطًا والبركان شديد الانحدار، وهم يطلقون عليه اسم « الجبل العظيم».

وتعطي الثقافة الجاوية البراكين قدرًا كبيرًا من الاحترام والتقديس وخاصة لجبل سيميرو الذي له قصة أسطورية في الأساطير الجاوية القديمة يسعد أهل الجزيرة بحكايتها للزوار.

وتروي القصة الأسطورية لجبل سيميرو كيف كانت جزيرة جاوة «جوادويبا» غير مستقرة وذات اهتزاز دائمًا، وحاول الآلهة إيجاد طريقة لجعلها مستقرة وقابلة للحياة، خاصة وأن هناك الكثير من البشر الذين يعيشون في الجزيرة.

قرر بهاتارا جورو، الإله الأعلى، بالدخول في حالة تأمُّل عميق من أجل حل المشكلة.

وتوصل في وقت لاحق إلى أن الجزيرة تحتاج إلى نوع من «المسامير» لإبقائها في مكانها. أخيرًا، أخبر بهاتارا جورو الآلهة الأخرى أن يذهبوا إلى الهند وأن يأخذوا قمة جبل المندرة. والتي يطلقون عليها ماهاميرو، الذي يتحول إلى سارية عملاقة من شأنها أن تبقي جزيرة جافا في مكانها.

شعرت الآلهة أن المهام كانت صعبة للغاية، ولذلك قرروا العمل سويًا لإحضار الجزأين من الجبال إلى الوطن. تحولت بهاتارا براهما، أحد الآلهة، إلى سلحفاة عملاقة. طلب آلهة أخرى لتحميل ماهاميرو على ظهره. قام الإله الآخر، بهاتارا ويسنو، بتحويل نفسه إلى ثعبان عملاق وقيد الماميرو بجسده، وقام بتأمينه على ظهر باتارا براهما. ومع ذلك، خلال رحلة العودة إلى المنزل، بدأت الآلهة تشعر بالتعب، لأن ماهاميرو كانت ضخمة للغاية. إن ثقل قمة الجبل والجهود المبذولة لحملها جعلتها شديدة التعب والعطش.

في وقت لاحق رأت الآلهة الماء يتدفق من قمة الجبل، وبما أن الماء

بـدا منعشًـا وكأنـه يدعوهـم إلى شربـه، فقـد قـررت الآلهـة المتعبـة شربـه، وبعـد ذلـك، تبـين أن المـاء سـام، وماتـوا عـلى الفـور بعـد شرب المـاء.

اكتشـف بهاتـارا جـورو مـا حـدث وحـول المـاء السـام إلى مـاء الحيـاة وأنعـش الآلهــة به.

بمجرد وصولهم إلى جاوة، حاول الآلهة وضع ماميرو في عدة مواقع.

أنتجـت قمـة الجبـل صخـور أصغـر سـقطت، وتحولـت فيـما بعـد إلى جبـال جديـدة. وضعـوا لاحقًـا قمـة الجبـل عـلى الجانـب الشرقـي مـن جـاوة، وفي النهايـة أصبحـت الجزيـرة مسـتقرة.

وجـاوة تمتلـك وحدهـا حـوالي تمتلـك حـوالي ١٨ بـركان نشـط وأكـثر البراكـين شـعبية في جـاوة هـو برومـو ويفضـل النـاس مشـاهدة شروق الشـمس مـن فـوق قمتـه.

جبل الأسطورة الحية

فـي جـاوة الشـرقية لا تـزال أسـطورة جبـل «برومـو» Bromo حتـي يومنـا هـذا حيـة، ولا تـزال تهمـس للقرويـين مـن أعماقـه.

وربمـا هــذا يرجـع إلى تأثـير الهندوسـية عـلى شـعب الجزيــرة، الذيــن يعتقـدون أن الآلهـة تعيـش فـوق قمـم الجبـال، ومـازال هـذا الاعتقـاد مسـتمرًا حتـى اليـوم.

ويقال إن اسم الجبل مشتق من اسم براهما (الخالق عند الهندوس).

ويـروي القرويــون أسـطورة زوج اسـمه جوكـر سـيغر وزوجـه اسـمها رورو انتنـغ، كانـا متزوجـين لسـنوات ولم يكـن لديهـما أي أطفـال بعـد.

لقد أرادا إنجاب أطفال، وكانا يصليان إلى الآلهة كل يوم.

وأخـيرًا حصـل جوكـر سـيغر عـلى رؤيـة، وهـي أن زوجتـه سـتكون حاملًا إذا تأمَّـل في كهـف.

وأصبح يتأمَّل في الكهف.

وفي وقـت لاحـق سـمع صوتًـا يقـول لـه: جوكـر سـيغر، «كل الآلهـة وافقـوا عـلى إعطائـك أطفـال، الكثـير مـن الأطفـال. «

«حقًا؟ شكرًا جزيلًا لك، « قالها جوكر سيغر بسعادة.

« ولكن هناك شرط واحد عليك العلم به.»

قال جوكر سيغر سأفعل أي شيء طالما ستعطيني الكثير من الأطفال».

«سيكون لديك ٢٥ طفلًا. لكن عليك التضحية بأحدهم عندما يكون بالغًا».

قال جوكر سيغر بدون أي تفكير»أوافق».

كان سعيدًا جدًا لدرجة أن الآلهة منحته ٢٥ طفلًا.

كان يعتقد أن التضحية بأحدهم لن تكون مشكلة لأنه لا يزال لدية ٢٤ طفلا آخر.

وعندما عاد إلى المنزل، أخبر جوكر سيغر زوجته عن حديثة مع الله.

رورو أنتنغ لم تستطع قول أي شيء بعد وعد زوجها للآلهة، لكنها كانت تأمل فقط ألا يضطروا أبدًا إلى التضحية بطفل من أبنائهم.

وفي وقت لاحق، أصبحت رورو أنتنغ حاملا، وأصبح لديهم طفل!

كان جوكو سيغر وروروأنتنغ سعداء للغاية، الطفل الأول تبعة أطفال آخرون في بعض الأحيان، يولد لهما توأمان وفي أحيان أخرى يولدون ثلاثة أطفال.

وأخيرًا أصبح للزوجين ٢٥ طفلا!

وعندما كبر الأطفال، راود جوكر سيغر حلم، وهو سيحدث إلى الله.

«جوكر سيغر، تذكر وعدك. أريد أن تحضر لي أحد أطفالك إلى فوهة جبل بروموو. تضحي به هناك. إذا لم تفِ بوعدك، فسوف ينفجر الجبل، ويدمر كل شيء».

استيقظ جوكر سيغر من نومه، ولم يهدأ له بال حتى تحدث مع جميع أولاده عن وعده للآلهة.

قال الابن الأكبر :» لا يا أبي، لا أريد أن أموت».

قال ابن آخر: «أنا أيضا يا أبي».

رفض كل الأطفال أن يتم التضحية بهم.

لم يكن لدي جوكر سيغر قلب لإجبارهم، كان يحب جميع أولاده.

وفجأة تحدث أصغر طفل كان اسمه كيسوما.

وقال كيسوما: اسمح لي أن أضحي بنفسي يا أبي. أنا أحب عائلتي وشعبنا، ولكن لدي رجاء، أن تحيي ذكرى تضحيتي كل عام، بإقامة حفل وتقدم بعض القرابين إلى فوهة جبل بروموـ.

كان كيسوما ابنًا جيدًا، ومطيعًا لوالديه ولطيفًا مع الآخرين، وكان محبوبًا من جميع القرويين ؛ لأنه كان يعاملهم بطيبة ورفق ويساعدهم.

ذهب كيسوما إلى فوهة البركان. وقفز حتى ابتلعته النيران.

كان الجميع حزينًا، وفي الوقت نفسه كانوا ممتنين لكيسوما. فبسببه هم في مأمن الآن من ثوران جبل بروموـ.

وحتي يومنا هذا، يجتمع القرويون كل عام ويقيمون حفلًا لمدة شهر لإحياء ذكري كيسوما.

وفي اليوم الرابع عشر يبدؤون بالصعود لأعلى البركان وهم محملين بالفواكه والحيوانات الصغيرة المزينة بالورود ليقدموها كتضحية في فوهة البركان.

والقصد من هذا الحفل السنوي هو أخذ مباركة الآلهة واسترضائها ولضمان الوفرة في الحصاد والابتعاد عن الكوارث والشفاء من الأمراض.

* * *

برکان برومو

مالانج- شرق جاوة الساحرة

في الجهة الشرقية من جاوة وتحديدًا بين جبلي برومو وسيميرو توجد مدينة مالانج، وهي من أكبر مدن جاوة وتشتهر هذه المدينة بجامعتها التعليمية المعروفة على المستوى المحلي، وبيئتها الطبيعية ونباتاتها المتعددة، والمعابد والمتاحف.

أحد أشهر الأماكن في مالانج معبد يطلق عليه « سنجوساري» Sin-gosari وهو على بعد اثني عشر كيلو مترًا مربعًا من وسط المدينة، ويطلق عليه أيضًا اسم «كندس» تكريمًا للملك كيرتانيجارا، آخر ملوك أسرة سينجوساري الذي توفي عام ١٢٩٢ وهو معبد بوذي هندوسي، وما يميزه أنه مازال محافظًا على هيئته القديمة وهذا المعبد شيد عام ١٣٠٠، يوجد بالقرب من المعبد تمثالان عملاقان يُطلق عليهما «دووارابالا « يُعتقد أنهما حراس المدخل إلى القصر. وعلى بعد حوالي كيلو متر واحد من بوابة معبد سنجوساري يقع معبد «سومبيروان» Sumberawan أو «حديقة الحوريات السماوية» في سفوح جبل أرجونا، وهو معبد بوذي يعود تاريخه إلى أواخر القرن الرابع عشر أو بداية القرن الخامس عشر.

وللوصول إلى معبد سومبيروان مشيت في طريق بين حقول الأرز والنهر (حوالي ٥٠٠ متر) طريق قرية سومبيروان، ويقال: إن بركة مياه سومبيروان هي مياه روحانية ولديها طاقه كبيرة تساعد على الشفاء، ورأيت بعض الزوار يستحمون في هذه المياه.

قرية قوس قزح

ليست البراكين وحدها التي تنفجر في إندونيسيا، فإذا حالفك الحظ وتجولت في شوارع «مالانج» سوف تتفاجأ بانفجارات عديدة من الألوان الزاهية التي لا تزعج العين.

فعلي بعد ٢٠ دقيقة من مالانج توجد ثلاث قرى ملونة تجذبان الأنظار القرية الأولاسمها «كامبونج وارنا - وارني جوديبان « kampong warna – jodipan warni لفترة طويلة كانت قرية جوديبان في مالانج - شرق جاوة، والتي تطل على نهر برنتاس قرية فقيرة ملوثة تكافح من أجل البقاء، لكن الظروف المعيشية كانت صعبة بما فيه الكفاية وكان سكان القرية على وشك الإخلاء.

حتى قرر ٨ طلاب من جامعة مالانج المحمدية في عام ٢٠١٦ أن تكون جوديبان هدفهم، وتوصلوا إلى فكرة منح جوديبان «لمسة» تعيد الروح للقرية من جديد.

تعاون الطلاب مع بعضهم البعض وجمعوا ثلاثين رسامًا وفنانًا محليًا وتم التبرع لهم ب ٦٠٠٠ رطل من الطلاء الملون، وقد وثق أصحاب المنازل في الطلاب وتركوا لهم منازلهم ليبدعوا فيها ويرسموا جدرانها.

وعلى مدى أربعة شهور قام الطلاب برسم حوالي ٢٣٠ منزلًا، وقاموا أيضًا برسم حوائط القرية كلها، والممرات الضيقة بألوان مختلفة ورسومات نابضة بالحياة، معظم الألوان المستخدمة هي الألوان الأساسية مثل الأصفر، الأخضر، الأحمر، الأزرق، البرتقالي، وقاموا بعد ذلك بتزين القرية بالفوانيس والأقنعة والمظلات الملونة، ثم قاموا بتنظيف النهر من القمامة بعد أن كان السكان يلقون القمامة فيه.

ووضعوا صناديق للقمامة في كل مكان، وبنوا عددًا من المراحيض العامة وموقف للسيارات، وأعطوا للقرية مظهرًا جديدًا وأطلق عليها قرية « قوس قزح».

وبفضل هذا الوعي قدمت حكومة مالانج التمويل إلى مناطق مختلفة في المدينة للمساعدة في تحسين الصرف الصحي وتوفير مياه الشرب العذبة.

وفي الجهة المقابلة لقرية قوس قزح توجد قرية كامبونج تريدي (Kampong Tridi 3d)

والتي تعني «القرية ثلاثية الأبعاد».

وكانت في حالة قرية قوس قزح نفسها حتى قرر رسام محلي يدعى :

«إيدي سوبريانتو» أن يفعل الشيء نفسه في الحي الذي يعيش فيه، ويرسم مكانًا به لوحات ثلاثية الأبعاد التي يمكن للزائرين بالتفاعل معها.

وفي عام ٢٠١٧ قدم «إيدي سوربانتو» فكرته إلى الرئيس المحلي وحصل على الموافقة على المشروع مع تبرع سخي من شركة «ديكوفريش» للطلاء وهي شركة طلاء محلية.

وقام برسم لوحات جدارية ضخمة على جدران القرية تصور أشخاصًا مشهورين وحيوانات مفترسة مثل الأسود وأسماك القرش والكثير منها ثلاثية الأبعاد، ليعطي للقرية لمسة وهوية مختلفة ومن هنا اشتق اسم القرية.

يربط بين القريتين جسر زجاجي طوله ٢٥ مترًا وعرضه ١,٢٥، الجزء السفلي من الجسر عبارة عن زجاج وهو مصمم لاستيعاب ٥٠ شخصًا، ويقوم السكان المحليين بتنظيم تدفق الزوار، الذين يأتون خصيصًا لرؤية القرية من أعلى الجسر والتقاط صورًا بانورامية مميزة برسم دخول ٣٠٠٠ روبية إندونيسية لكل شخص (حوالي ٠,٢١ دولار).

شفشاون إندونيسيا

وتقع قبالة القرية ثلاثية الأبعاد قرية "كامبونج بيرو أريما"

Kampung Biru Arema أي القرية الزرقاء

وكانت هذه القرية أيضًا من الأحياء الفقيرة والمتهالكة، حتى تم تحويلها من قبل رئيس بلدية مالانج، لتكون على غرار قرية قوس قزح والقرية ثلاثية الأبعاد ولكن هذه المرة بلمسة زرقاء بالكامل ليس فقط الجدران والأرضيات والسقوف إنما الشارع بأكمله، الممرات، وكل شيء مطلي باللون الأرزق.

ويرمـز اللـون الأرزق للقريـة إلى فريـق نـادي « أريمـا إف سي» لكـرة القـدم في مالانـج، وزينواالحوائـط برسـم شـعارات متعلقـة بكـرة القـدم في أنحـاء القريـة مسـتخدمين حـوالي ١٥ طنًـا مـن الطـلاء لتغيـير حـوالي ٥٠٠ مبنـي.

العامـل الأسـاسي في الموضـوع هـو» الإبـداع» و» التفكـير خـارج الصنـدوق « الـذي حـول قريـة معدمـة إلى حـيٍّ سـياحي شـهير.

وهكـذا تحولـت صفـوف البيـوت المكدسـة الكئيبـة إلى قـوس قـزح مـن الألـوان الجذابـة وأصبحـت المدينـة اليـوم مكانًـا خلابًـا بفضـل فكـرة وإخـلاص بعـض الطـلاب و لمسـاتهم الفنيـة وإرشـادهم لأهـل القريـة الذيـن تغـيروا بالكامـل وأصبحـوا يحافظـون عـلى القريـة نظيفـة.

لقـد جلبـت الألـوان الاهتـمام المحـلي والعالمـي، فأصبـح يتوافـد عليهـا المحليـون والسـياح مـن كل مـكان ونتيجـة لزياراتهـم وشرائهـم الطعـام والـشراب والهدايـا التذكاريـة، وأدى إلى إيجـاد فـرص عمـل للشـباب عـن طريـق إدارة موقـف السـيارات والمراحيـض العامـة، وارتفـع مسـتوى المعيشـة وتكاتـف أفـراد المجتمـع عـلى مواصلـة وتحسـين القريـة بمشـاريع منهـا تحسـين الـصرف الصحـي، وأصبحـت جوديبـان واحـدة مـن أهـم مناطـق الجـذب السـياحي في جزيـرة جـاوة.

* * *

٣

المدينة الملكية

أحـد أجمـل مميـزات السـفر هـى زيـارة المـدن القديمـة، والتعـرف علـى تاريخهـا وثقافتهـا، مدينـة «يوجياكرتـا» في جنـوب جـاوة الوسـطي أحـد أهـم المناطـق في إندونيسـيا التـي تحتـوي عـلي أكـبر الكنـوز التـي دفنـت في العهـد الإندونيـسي القديـم، وهـي مركـزا للثقافـة والفنـون الجاويـة القديمـة، وجنـة بمعابدهـا بمـا في ذلـك واحـد مـن عجائـب

الدنيا السبع القديمة.

والسُّياح دائمًا يحتارون بين الذهاب الي بالي أو إلي يوجياكارتا، والمقارنة بين البلدين تماماً مثلما يسأل اي زائر لمصر هل الأفضل أن أزور الأقصر وأسوان أم أذهب مباشرة شرم الشيخ؟.

مدينة «يوجياكارتا» ليست بعيدة عن جاكرتا فهى تقع علي بُعد حوالي ٥٦٢ كم من جاكرتا، وتعرف أيضا باسم « يوجيا» و «جوجيا».

والوصول إليها سهل للغاية فتوجد العديد من وسائل المواصلات التي تذهب هناك كالباص الذي يستغرق حوالي ١٥ ساعة ويتراوح سعر تذكرته من ١٨ إلى ٢٦$، أو بالطائرة إلى مدينة يوجياكارتا.

يطلق علي يوجياكرتا لقب (المدينة الملكية) لأنها كانت مقراً السلطة في القرنين الثامن والتاسع، ومقر لإمبراطورية ماتارام الجاوية القوية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهي المدينة الوحيدة التي لا يزال يحكمها سلطان حالى.

وكلمة «يوجياكارتا» مكونة من مقطعين «يوجيا» وتعني مناسب، صالح، سليم،

و « كارتا» وتعني مزدهرة، إذن فإن يوجياكرتا هي (مدينة مناسبة للإزدهار).

لم أكن بحاجة للتفكير طويلاً لكى أزور تلك المدينة التاريخية العريقة، وقررت أن أبدأ زيارتي بها بزيارة معبد (بوروبودور) الذى يقال عنه أنه أحد عجائب الدنيا السبع القديمة و أشهر معلم في يوجياكارتا.

كنت قد دونت بعض الملاحظات التي جمعتها عن «بوروبودور» أهمها هو الوصول مبكراً لأكون أمام بوابة الدخول في الرابعة والنصف صباحا لذلك قررت الإقامة في فندق (مانوهار بوروبودور) وهو الفندق الوحيد الذي يقع على بُعد بضعة دقائق سيراً على الأقدام في منطقة «بوروبودور».

ومن أجمل المميزات في الفندق هو أنه يوفر تذاكر الدخول للمعبد دون الحاجة الى الذهاب والوقوف في طابور طويل لقطع تذكرة «.

كانت غرفتي مطله على الحديقة التي سرت من خلالها متجه إلى المعبد، كانت السماء مازالت مظلمة، كل شيء يبدو هادئًا من حولي، المكان، حفيف الأشجار، حتى أنني لم أسمع أصوات الطيور يبدو أنهم لم يستيقظوا بعد.

ينتابني شعور كبير بالرهبة وأنا أسير أعلى التل الصغير فأنا على وشك أن أرى واحد من أهم وأقدم الأثار البوذية في العالم، حتى وصلت بوابة المعبد في الرابعة والنصف صباحًا وبدأت بالصعود، ثم توقفت قليلًا وأخذت نفسًا عميقًا،وأنا أتأمَّل المكان من حولي، المنظر مذهل، فضباب الصباح جعل المعبد أكثر غموضًا وإثارة.

معبد بوروبودور

حكاية بوذا في لوحات- بوروبودور

وبـدأت رحلـة الاستكشـاف، فالمعبـد عبـارة عـن أُسـتوبات متماثلـة، ويتكـون مـن تسـع منصـات مكدسـة سـت قواعـد مربعـة، ثـلاث قواعـد دائريـة تعلوهـا قبـة مركزيـة في الأعـلى.

زُيِّنـت جـدران المعبـد بــ ٢٦٧٢ لوحـةً توضـح الحكايـات والتعاليـم البوذيـة و ٥٠٤ تمثـالًا لبـوذا.

سرت مـع اللوحـات المنحوتـة في اتجـاه عقـارب السـاعة لأحـاول أن أفهـم القصـص التـي تـم سردهـا عليهـا.

كان هنـاك لوحـات لفيلـة وسـفن وراقصـات وموسـيقيين وملـوك ومحاربـين منحوتـين بدقـه شـديدة.

ظللـت أسـير مـع اللوحـات حتـي وصلـت إلى المسـتوى الثالـث وفيـة تحـكي اللوحـات قصـة ميـلاد الأمـير «سـيدهارتا» ورحلتـه حتـى أصبـح «بوذا» وشـاهدت أيضًـا قصـة حلـم الملكـة «مايـا» عندمـا حلمـت بفيـل أبيـض بسـتة أنيـاب يدخـل جانبهـا الأيمـن.

وقـد فـسر الرهبـان هـذا الحلـم لهـا بأنهـا إذا حملـت طفـلًا فسـيصبح إمـا حاكـمًا للعـالم أو «بـوذا».

وقـد فضـل الملـك أن يكـون ابنـه حاكـمًا للعـالم، لذلـك قـام بحـصر الأمـير في القـصر، وقـام بإغراقـه بـكل الملذاتالحسـية، ولكـن ذات يـوم خـرج الأمـير مـن قـصره ورأى شـخصًا مريضًـا، عجـوزًا، وجثـة، وراهـب.

أدرك سيدهارتا أنه أيضًا سيصبح كبيرًا في السن ويمرض ثم يموت.

وفي وقـت لاحـق تخـلى عـن حياتـه الدنيويـة وشرع في البحـث عـن السـعادة الحقيقيـة. بعـد التعلـم عـلى يـد العديـد مـن المعلمـين الروحيين،أصبـح زاهـدًا بـل شـديد الزهـد.

وأخيرًا جلس تحت شجرة وظل يتأمل حتى حقق الاستنارة.

وتتكـون أدنى قاعـدة في المعبـد مـن النقـوش التـي تمثـل الحيـاة اليوميـة التـي تتألـف مـن العاطفـة والرغبـة، حيـث يتـم مكافـأة الأشـخاص الجيديـن

بالتناسخ كشكل أعلى من أشكال الحياة، ومن ناحية أخرى، فإن الأشرار يتم تجسدهم في شكل أقل في الحياة كعقاب لهم.

والتي تعني «ديربوذي على التل» ويعتقد العلماء أن اسم بوروبودر يأتي من الكلمة السنسكريتية "vihara Buddha uhr" وهي كلمة مناسبة جدًا لهذا المعبد الذي يجلس بالفعل على تل.

البناء مهيب بحق وكنت بحاجة لمن يشرح لي قصة هذا المكان، وبحثت عن مرشد سياحي من الذين يعملون بالمكان حتى وجدت أحدهم، طلبت منه أن يحدثني عن هذه الأعجوبة.

أخبرني أن هذه المعبد بني في عهد سلالة سلييندرا الحاكمة في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي، وقد كان بناء المعبد عملًا ضخمًا وقاسيًا،فهو يتكون من ٦٠ الف متر مكعب من الحجر ومليوني كتلة حجرية، وليس بعجيب أن يستغرق بنائة ٧٥ عامًا.

ويبدو أن هذا المجهود لم يذهب سدى، فإلى اليوم والمعبد بأكمله سليم، وكأنه بني بالأمس.

وعرفت أن هذا المعبد هو أيضًا مكان للحج البوذي، تبدأ رحلة الحجاج فيه عند قاعدة النصب وتتبع المسار المؤدِّي إلى النصب بينما تصعد إلى القمة من خلال المستويات الثلاثة لعلم الكونيات البوذي.

وخلال الرحلة يرشد النصب الحجاج عبر السلالم والممرات عن طريق اللوحات.

* * *

معبد برامبابان- Prambanan

وبعد الانتهاء من زيارة « بوروبودور» البوذي كانت وجهتي التالية هي زيارة معبد «برامبابان «الهندوسي وهو على بُعد ١٧ كم شمال شرق يوجياكارتا.

وجدت نفسي أسير عبر منتزَّه أخضر كبير، يحيط بالمعبد، أكاد أرى من بعيد اللون الرمادي الداكن ذا الأبراج التي ترتفع للسماء.

أسير بثقة وقوة وبشعور أنني «لارا كروفت» في فيلم تومبرايدر، لا أعرف لماذا انتابني هذا الإحساس وكأنني أمثل فيلمًا سينمائيا او أصور فيلمًا وثائقيًا عن تلك العجائب المذهلة البناء.

ربما هذا الإحساس نابع من شعوري بالهيبة والعظمة وأنا أقف أمام هذا البناء الضخم الذي يعود تاريخ بنائه الي منتصف القرن التاسع عشر (بعد حوالي ٥٠ عامًا من معبد بوروبودور)، أو ربما كثرة القصص والأساطير التي سمعتها عن هذا المعبد الغير معروف من بناه.

والجدير بالذكر أن برامبابان ليس معبدًا واحدًا بل مجموعة معابد.

وبينما أسير في طريقي حول المجمع الخارجي رأيت العديد من أكوام الصخور المحيطة بالمعابد المُعاد بنائها، يبدو أن هناك الكثير من أعمال الترميم في هذا المكان.

وظللت أسير حتى وصلت إلى أعلى فناء مركزي، أذهلني عدد المعابد التي يتكون منها المجمع بالفعل، ومدى الحفاظ عليها وإعادة ترميمها.

وقفت وسط الفناء اشاهد المعابد التي تحيط بي، حتى جاءت فتاة من وسط مجموعة فتيات قاطعت صمتي وقالت لي بأدب شديد أنها تدرس اللغة الإنجليزية في الجامعة وأنهم في رحلة ميدانية لممارسة التحدث بالإنجليزية مع السُّياح وشرح كل شيء في المعبد للسُّياح، وعرضت عليَّ أن تكون مرشدتي، وقالت إنه بالمجان!

معبد برامبانان

كانت واثقة من نفسها ويبدو أنها ليست المرة الأولى لها في برامبابان وأنها على دراية كبيرة بالمكان، وتتحدث الإنجليزية، وبالمجان.

ياله من عرض مغرى!

قالت لي إن المكان كبير للغاية وسوف نقسمه إلى أجزاء، ونأخذ استراحة بين الحين والآخر.

ويبدو أنها أنقذتني، فأنا لم أكن أعرف من أين أبدأ، وكنت أتجول بشكل عشوائي في المكان.

الآن فهمت لماذا يطلقون على يوجياكارتا «بلد الطلاب» ربما لهذا السبب، إنها ليست المرة الأولى لي في إندونيسيا التي يعرض عليَّ أحد الطلاب أن يكون مرشدي وبالمجان مقابل أن يتحدث معي بالإنجليزية وأبادله أطراف الحديث كنوع من ممارسة اللغة، وهي فكرة جيده لممارسة اللغة.

وبدأت مرشدتي الصغيرة تخبرني بالإنجليزية أن هذا المعبد مقسم إلى ثلاث معابد كبيرة (الثالوث الهندوسي المقدس) براهما الخالق، فيشنو الحافظ، وشيفا المدمر، ويضم أيضًا أكثر من ٢٠٠ معبد صغير.

ومعبد (شيفا) هو أكبر وأطول معبد في برامبابان وهو مخصص لعبادة الإله الهندوسي شيفا، ويحتوي على خمس غرف أربع منهم صغيرة وغرفة رئيسية كبيرة في الجزء المركزي من المعبد.

قاعدتها مزينة بأسود صغيرة تحيط بها «كالباتور» (أشجار السماء) وكذلك «الكينارا» (نصف إنسان ونصف حصان).

بينما كنا نسير أكثر فأكثر رأيت مشاهد منحوتة، نابضة بالحياة من ملحمة «الرامايانا» على الجدار الداخلي الذي يحيط بالمعبد.

أخبرتني مرشدتي قصة الملحمة وكيف اختطفت «سيتا» زوجة «راما» وكيف وجدها بمساعدة القرد» هانومان « وكنت أعرف هذه القصة بحكم أسفاري المتعددة للهند حتى أني كتبت عنها في كتابي (ناماستي).

ثم رأيت تمثال لـ «شيفا» بأسلحته الأربعة المدمرة،وهو يقف على زهرة اللوتس العملاقة التي هي رمز في البوذية.

وعللت ذلك قائلة: ربما هذا المزج بين شيفا وزهرة اللوتس(الهندوسية والبوذية) يعود إلى أن برامبابان قد بُنيت عندما تزوجت أميرة سليندرا (التي حكمت جنوب جاوة) أمير هندوسي يدعي سانجياس من ماتارام القديمة (حاكم شمال جاوة) وقد يكون هذا السبب الذي جمع بين الديانتين سويًا في هذا المعبد.

وعلى الجانب الشمالي من معبد شيفا يوجد معبد الإله «فيشنو» وهو أصغر من معبد «شيفا» ويصل ارتفاعه إلى ٣٣ مترًا ويحتوي على نقوش رائعة تحكي قصة اللورد «كريشنا» بطل ملحمة المهابهاراتا.

ويوجد في المعبد تمثال كبير لفيشنو.

وفي الجانب الجنوبي يوجد معبد الإله «براهما» وهو شبيه إلى حد كبير بمعبد «فيشنو» ومنحوت عليه بشكل جميل المشاهد النهائية لملحمة «الرامايانا»، وفي المعبد تمثال لـ «براهما» ذو أربعة رؤوس.

وأمام معبد شيفا يوجد ثلاث معابد صغيرة مخصصة لركوبات الآلهة.

وهم معبد ناندي ويحوي تمثال لناندي الثور الذي ينتمي إلى «شيفا» ويحوي أيضًا تمثال ل شاندرا إلهة القمر الذي يقف على عربته التي تجرها ١٠ خيول وسوريا إلهة الشمس التي تقف على عربة تجرها ٧ خيول.

ومعبد هامسا «البجعة» ومعبد جاودا «النسر»، ولا يحتويان على أية تماثيل.

بعد هذه الجولة أخذنا استراحة قصيرة واكتشفت أن هذا المكان ليس مناسبًا لمن لا يحبُّ رياضة المشي.

وبعد ذلك زرنا مجموعات صغيرة من المعابد في المنطقة الخارجية لبرامبان.

وبعد أن انتهت زيارتي لبرامبابان خرجت معي إلى البوابة الرئيسية بعد أن عرضت على أن تصحبني إلى قصر» راتوبوكو» والذي كان يبعد ٣ كم جنوب برامبابان، وللذهاب هناك من برامبابان يجب أخذ تذكرة مزدوجة برمبابان - راتوبوكو وسعرها ٧٥٠٠٠ روبية وهناك باصات تقف أمام البوابة الرئيسية لتقلنا إلى هناك مع المرشدين.

أطلال راتوبوكو

في الطريق أخبرتني مرشدتي أن الاسم الأصلي للمكان غير معروف بالتحديد إلا أن السكان المحليين أسموه على اسم السلطان راتوبوكو والد «رورو يونججرانج» في الأسطورة القديمة.

وأن هذا القصر بني في القرن الثامن الميلادي من قبل أسرة سيلندرا البوذية، ولكن بعد ذلك استولى الملك الهندوسي ماتارام على المكان.

يقف «راتوبوكو» على قمة تل يبلغ ارتفاعه ١٩٥ متر فوق مستوى سطح البحر، إنه ليس معبدًا بل قصرًا، قصرًا كبيرًا، بني خلال القرن التاسع الميلادي، على مساحة ٢٥٠,٠٠٠ متر مربع، مقسمة إلى أربع وهذا القصر كان للعزلة والتركيز على الحياة الروحية والمكان في الحقيقة يشعر بالهدوء، وستتمكن من رؤية مدينة يوجياكارتا ومع برام بانان مع جبل ميرابي كخلفية.

والقصر مختلف عن الأماكن الأخرى التي غالبًا ما تكون في شكل معبد أو ضريح، في حين أن هذا المكان هو قصر، ويمكن معرفة ذلك من ذلك الأعمدة والسقوف الخشبية.

وروت لي أسطورة رورو يونججرانج قائلة : في المكان الذي يقف فيه معبد برامبانان كان هناك مملكة تسمَّى برامبانان وكان ملكها يدعي راتوبوكو الذي كان لدية ابنه جميلة تدعي رورو يونججرانج، كان أهل مملكة برامبانان أثرياء ويعيشون في سلام.

ويبدو أن سعادتهم أزعجت مملكة «بينجينج» وأراد ملك مملكة بينجنج المسمَّى باندونج بونداووسو احتلال برامبانان. وأصبحت الحرب بينهما لا يمكن تجنبها.

خسرت برامبانان الحرب وقتل راتوبوكو، لأن مملكة بينجينج كان لديها قوة خارقة للطبيعة، لم يكن جنوده بشرًا، بل كانوا من الجن.

بعد وفاة راتوبوكو أصبحت برامبانان تحت قيادة باندونج بونداووسو.

ذهب بونداووسو في جوله حول القصر، والتقى بالصدفة بـ رورو يونججرانج،

الابنـة الجميلـة لراتوبوكو.

ووقع في حبها،وطلب منها أن تكون زوجته.

لم تكـن تعـرف مـاذا تفعـل فقـد كانـت تكرهـه بسـبب قتـل والدهـا، وكانـت أيضًـا خائفـة منـه مـن رفضـه، حتـى قـررت أخـيرًا بعـد وقـت مـن التفكـير في حيلـة لإلغـاء الـزواج.

وأخـبرت بوندووسـو أن يحقـق لهـا رغبتهـا في بنـاء ١٠٠٠ معبـد وبئريـن خـلال ليلـة واحـدة.

وقالـت «رورو يونججرانـج»: «إذا كنـت فعـلا تريـد الـزواج منـي، فعليـك بنـاء ١٠٠٠ معبـدا في ليلـة واحـدة فقـط ».

مـاذا؟ غـير ممكـن! قـال باندونـج بوندووسـو: « لقـد أعطيتنـي ذريعـة لعـدم زواجي!».

لكنه لم يستسلم.

وافق على رغبتها، وطلب على الفور من الجنيات والشياطين مساعدته.

ثم عندما هبط الليل شرع الجن والشياطين بالعمل.

شـاهدت رورو العمـل الـذي كان عـلى وشـك الانتهـاء، وبـدأت تشـعر بالخـوف الشـديد، فهـي لا ترغـب في الـزواج مـن بوندووسـو.

كان قـد تبقـي فقـط ثـلاث معابـد ومـازال الفجـر لم يقـترب، بـدأت رورو في التفكـير في كيفيـة إيقـاف العمـل، حتـى تسـتطيع أن تلغـي الـزواج لعـدم تحقيـق رغبتهـا.

حتـى جاءتهـا فكـرة عظيمـة، إذا كان الفجـر لم يـأت بعـد، فـإن بإمكانهـا أن تفعـل بعـض الأشـياء لتشـعرهم أن الفجـر قـد أتى في وقـت مبكـر.

واسـتدعت كل الخـدم في القـصر وطلبـت منهـم حـرق القـش، وضرب مدافـع الهـاون، وجعـل الوضـع كـما لـو أنهـم في الصبـاح.

فعل الخدم كل ما أمرتهم به، حتى أن الديوك بدأت تصيح.

عندمـا سـمع الجـن والشـياطين صـوت صيـاح الديـوك والضوضـاء التـي تصـدر مـن هنـا وهنـاك، توقفـوا عـن عملهـم، وغـادروا المـكان، حـاول بوندووسـو في محاولـة يائسـة منعهـم، إلا أنهـم لم يسـتمعوا، فـشرع هـو في إنهـاء العمـل بنفسـه، لكـن الوقـت لم يكـن كافيًـا، ويبـدو أن عليـه إلغـاء الـزواج.

وجـاءت رورو لـتري بوندووسـو لتتأكـد أنـه قـد ألغـي الـزواج، لكنـه كان غاضبًـا لأنـه عـرف أنهـا خدعتـه.

«لا يمكـن أن تخدعينـي، رورو جونغرانـج. لقـد بنـي بالفعـل ٩٩٩ معبـدًا، أنـا فقـط بحاجـة إلى بنـاء معبـد واحـد الآن، سـأجعلك المعبـد الألـف».

ولعنها، لتكون المعبد الألف.

عملت لعنة بوندووسو وتحولت رورو إلى تمثال الذي أكمل الألف معبد.

شـعر بوندووسـو بـالآسى والحـزن بعـد ذلـك وذهـب إلى أرض بعيـدة، ومنـذ ذلـك الحـين وأطلـق النـاس عـلى تمثـال رورو معبـد رورو جونججرانـج «برامبانـان».

وكانـت هـذه هـي نهايـة جولتنـا سـويًا، وعـدت إلى فندقـي في يوجياكارتـا اسـتعدادًا لمغامـرة الغـد.

* * *

قلعة المياه

وفي الصباح قررت أن أخذ جولة في المدينة وزيارة بعد الأماكن وأفضل وسيلة مواصلات في يوجياكارتا، هي ركوب «البيكاك» (دراجة تقليدية ذات الثلاث عجلات، مع مقعد للركاب).أخذت أحد دراجات البيكاك وطلبت من السائق أن يلقني إلى قلعة (تامان ساري) كانت الرحلة بالبيكاك ممتعة حيث جلست في الأمام وكنت أعتقد أن السائق هو من يجلس في الأمام لكن إتضح العكس وحظيت بمشاهد رائعة للشوارع المزدحمة والمليئة بالوجوة. حتي وصلت « تامان ساري» قمت بقطعة تذكرة دخول للقلعة وتكلفتها ٢٥٠٠٠ روبية.

وقلعة تامان ساري يطلقون عليها محليًا اسم (قلعة المياه)، وهي تعود إلى منتصف القرن الثامن عشر.

أما كلمة «تامان ساي» فهي تأتي من الكلمة الجاوية «تامان» التي تعني حديقة أو منتزه و»ساي» التي تعني جميلة أو زهرة، وبالتالي فإن كلمة « تمان ساري» تعني حديقة جميلة مزينة بالورود.

وكانت «تامان ساري» بالأساس كانت ملاذًا للسلطان للراحة والتأمل.

وهو المكان الذي كانت تظهر فيه محظياته أفضل ما لديهم على أمل أن تصبح واحدة من زوجاته.

لقد سمعت العديد من القصص حول هذا القصر إحدى هذه القصص أنه «بينما كانت النساء يتحممن في البركة كان السلطان يراقبهم من برجة، وإذا لفتت انتباهه إحداهن فيتم التحري عنها لمعرفة ما إذا كانت تستحق الانضمام للبلاط الملكي كزوجة جديدة له أم لا».

صعدت درجات السلم المؤدِّية للبرج الذي كان السلطان يجلس فيه، وينظر من نافذته على الحريم، حمام السباحة من الأعلى يبدو جذابًا، وحاولت أن أتخيل كيف كان يجلس السلطان، ويشاهد النساء، وكيف يبدو المشهد من أعلى.

قد يبدو الأمر الآن مشينا لو فعله أحد الآن لكنه في تلك الأوقات

كان شرفًا للمرأة أن تصبح زوجة للسلطان، وكانت النساء حينها يتفنن في استخدام كل الحيل لتنال إعجاب السلطان.

والقلعة محاطة بحديقة مائية ومبان للإقامة مع جناح كبير وغرف صغيرة، وغرفة للتأمل، ومسجد سري يقع أسفل القلعة، ولو أنه لم يعد سريًا الآن بفضل الأشخاص الذين اكتشفوه، ولا يمكن الوصول له إلا عن طريق متاهة من الممرات، أو شخصًا يعرف الاتجاه، ولا توجد علامات إرشادية تقودك إليه، وغالبية الأشخاص الذين سألتهم كانوا لا يتحدثون الإنجليزية، حتي وجدت أخيرًا مجموعة من الطلاب يبدو أنهم يعرفون الطريق للمسجد، فقمت بتتبعهم عبر سلالم خرسانية أخذتنا عميقًا تحت الأرض، من خلال نفق إلى أن وصلنا إلى الفناء، وهناك وجدت مجموعة سلالم تؤدِّي إلى خمس مداخل مختلفة (ترمز إلى أركان الإسلام الخمس) شعرت أنني في مكان آخر في العالم، عالم غامض ومثير.

قادني إلى مسجد صغير الحجم، أشعر، وكأنني الدكتور زاهي حواس، وهو يكتشف إحدى المقابر المصرية القديمة، وأنا أنظر إلى الهندسة المعمارية البسيطة للغاية، وسمعت أحد المرشدين يخبر مجموعته أن المسجد كان يستخدم في كثير من الأحيان، كمكان للتأمل.

جلست أستريح لبعض الوقت، ورحت أتأمل المكان هو بالفعل مكان مناسب للإختلاء بالنفس بعيدًا عن صخب الحياة.

* * *

فن الباتيك

إن زيارة يوجياكارتا تعني أيضًا إستكشاف الثقافة الجاوية بما في ذلك فن الباتيك (فن زخرفة القماش) وهو تقليد قديم يمارسة الجاويين. وكلمة «باتيك» مشتقة من اللغة الجاوية وتعني النقط، وزخارفها مليئة بمعاني وفلسفة الحياة،وهم يستخدمون الشمع والصبغة لتزين الأقمشة وزخرفتها.

وتوجد العديد من الورش الصغيرة والمصانع التي تعرض هذا الفن أمام الزوار، زرت أحد الورش، ورأيت كيف تعمل النساء بحرفية على قطعة القماش وهما جالسين على مقاعد صغيرة أو على أرضية خرسانية، إنهم يستخدمون الشمع الساخن (خليط من شمع النحل والبرافين) لإنشاء أنماط على النسيج وبعد جفافه يفرغ الشمع بالرسومات المطلوبة، وتصبع الفراغات بالألوان.

أتطلع إليهم في دهشة وكيف يحولون قطعة قماش قطنية بيضاء إلى لوحة فنية بشكل يدوي، العملية اليدوية بطيئة وتستغرق ساعات وساعات لإتمام قطعة واحدة.

بينما يقوم الرجال بصبع القماش عن طريق قطع من الحديد محفور عليها رسومات، ويضع تلك القطعة على مكان معين علي القماش ببطء ودقة لجعل القطعة متماثلة، وكل جزء في القطعة يختلف أو يتماثل مع الأخر حسب دقة ومهارة الشخص.

يقال أن أصل الباتيك يعود إلى الحضارة المصرية القديمة حيث اكتشف أولا في المقابر المصرية، ومنه انتقل إلى بقية العالم.

ويقول البعض أن الباتيك في إندونيسيا في البداية كان مخصصًا للملوك الجاويين، وقد عرف عن الملوك الجاويين بأنهم رعاة عظماء للفنون، وقدموا الدعم لتطوير العديد من الأشكال الفنية مثل زخرفة الفضة.

وهناك أنواع مختلفة من الباتيك يستطيع أن يعرفها الإندونيسيون، ويعرفون مصدر القطعة إن كانت من يوجياكارتا، سولو، جاوة، وما إلى ذلك.

ويستخدم قماش الباتيك في صناعة الملابس وخاصة في المناسبات الكبيرة

كالأعـراس والاحتفـالات كـزي تقليـدي، وحتـى إنهـم يصنعـون منـه قمصانًـا وسراويـل عصريـة يرتديهـا الشـباب والفتيـات هـذه الأيـام، ولا يقتـصر اسـتخدام الباتيـك عـلى الملابـس فقـط، وإنمـا تصنـع منـه الأوشـحة والمفروشـات والأغطيـة أيضًـا.

طلبوا مني أن أقوم بعمل قطعة باتيك خاصة بي بعد أن شرحوا لي كل شيء، ولأني لست فنانة مثلهم فقد أعطوني أشكالاً جاهزة أختار منها رسمة لتسهل على العمل، وقمت بكل الخطوات وعند الانتهاء من الرسمة قاموا بغمر القطعة في الماء المغلي لإزالة الشمع ثم غمرة بالماء البارد للكشف عن تفاصيل اللوحة.

* * *

كنيسة الدجاج

إحدى أغرب الأماكن وأكثرها فضولاً فى يوجياكارتا كنيسة يطلق عليها «كنيسة الدجاج أو جريجاء أيام» وهو يبعد حوالى ٤٠ كيلو عن يوجياكرتا.

الغريب فى الأمر أن هذا المكان ليس كنيسة وليس دجاجة أيضا.

تعود قصة هذا المكان الي عام ١٩٨٨ عندما رأى شاب يدعى «دانيال ألمسجا» رؤية أثناء نومه "رأى حمامه ترقد على تل، وصوتاً إلهيا طلب منه أن يبني بيتاً للصلاة لجميع الناس».

لم يستطع دانيال أن ينسى تلك الرؤية، لكنه لم يكن يعرف أين المكان الذي يجب أن يبنى فيه البيت.

وفى عام ١٩٨٩ ذهب مع زوجته الي ماجيلانج، حيث تعيش عائلة زوجتة، وأثناء زيارته لمنطقة تدعى تل ريما تذكر حلمه.

لقد كان «تل ريما» هو بالضبط نفس المكان الذى حلم به، وقرر أن يشتري من السكان المحليين قطعة من الأرض ليبني عليها دار العبادة، وفى عام ١٩٩٢ بدأ في البناء مُراعيا بالضبط كل ما رآه في حلمه بعد أن حصل على الترخيص.

وبمجرد أن بدأ البناء، واجه مشكلة، دانيال ألمسجا رجل مسيحي، والذى الذي يبني فيه دار العبادة حي مسلم، واعتقد الناس أنه يبني كنيسة.

بدأ بعض السكان المحليين بتقديم شكاوى ضد المبنى مما أدى الي إبطاء عملية البناء، ومع الوقت بدأ المال ينفذ أيضا وبحلول عام ٢٠٠٠ توقف البناء بالكامل مع أنه كان قد وصل

الى ٧٠ ٪ من البناء، وترك المبني دون إشراف عليه.

ويبدو أن غرابة شكل البناء وحالة الغموض التى تحيط به كانت دافعا للعديد من الناس الذين يبحثون عن أماكن غير مألوفة لزيارتها، وإلتقاط صوراً فيها، ومع بدء ظهور الصور على مواقع الإنترنت أدرك السكان المحليون أنها ربما تكون فرصة للإستفادة من شعبية البناء الغريب، تعاون معه لاحقا الفنانين المحليين وبدأ إستكمال البناء وتجديد الموقع وتنظيفة ليكون دار عبادة صوفية لجميع الأديان، كلا يصلي بطريقتة وصممها علي شكل حمامة ووضع تاجاً على قمة الرأس. لكن

السكان المحليين والزوار رأوا أنها تشبة أكثر الدجاجة، فأطلقوا عليها كنيسة الدجاج (ربما بسبب إيمان دانيال بالمسيحية).

يستخدم المكان أيضا كإعادة تأهيل لمدمني المخدرات ومساعدة ذوي الإعاقة والاحتياجات الخاصة .

كنيسة الدجاج

٤
المنتجع الجبلي

وعـدت إلى جاكرتـا مـن جديـد، وعنـد عـودتي جائتنـي دعـوة مـن صديقـة إندونيسـية لقضـاء عطلـة نهايـة الإسـبوع، وعرفـت منهـا أن بونشـاك Puncak هـي وجهـة للمقيمـين في في بيـت عائلتهـا في المنتجـع الجبـلي ببونشـاك جاكرتـا، لشـحن طاقتهـم التـي تسـتنفذ منهـم عـلى مـدار الأسـبوع في زحمـة الطريـق ومتاعـب العمـل، وكانـت فرصـة لي للتعـرف عـن قـرب عـلى نمـط العيـش في الأسرة الإندونيسـية.

بدأنا التحرك في الثامنة صباحًا.

تبعـد «بونشـاك» ١٠٠ كيلـو مـتر (حـوالي ٣ سـاعات بالسـيارة) مـن جاكرتـا، والطريـق مسـلٍ للغايـة، حظيـت خلالـه برؤيـة المناظـر الجبليّـة الخـضراء الخلابـة والحدائـق والمـزارع، وكأنهـا لوحـة رسـمها فنـان.

وهـذه المنطقـة كانـت معروفـة أيـام الاسـتعمار الهولنـدي بأنهـا المنتجـع الجبـلي لاستنشـاق الهـواء الجبـلي النقـي خـلال عطلـة نهايـة الأسـبوع.

وكلمـة « بونشـاتك» تعنـي الـذروة، وبهـذا الاسـم أكـون قـد كوَّنـت فكـرة عـما يمكـن أن أشـاهده في هـذا الممـرِّ الجبـلي الـذي يمـرُّ عـبر بوجـور وسـيلانجور وسـوكا بومـي.

وصلنـا البيـت وهـو عبـارة عـن فيـلا صغـيرة بحديقـة خارجيـة في منطقـة فيـلات راقيـة والملفـت للنظـر أن كل فيـلا في المـكان مطليـة بلـون مختلـف، عـلى سـبيل المثـال فيلـة صديقتـي كانـت مطليـة باللـون الأصفـر الغامـق والفيـلا المجـاورة لهـم مطليـة باللـون الأخـضر الفاتـح والفيـلا المقابلـة لهـم مطليـة باللـون الأزرق وهكـذا.

لـون البيـوت ليـس مزعجًـا للعـين كـما نتصـور بـل بالعكـس كان جميـلا وهـو محـاط بحدائـق خـضراء وأشـجار وزهـور بـكل الألـوان.

اسـتقبلتني العائلـة مـن عـلى البـاب اسـتقبالًا حـارًا وبابتسـامات كبـيرة وهـذا

هـو الجانـب الإيجـابي في الموضـوع، ولاحظـت أنهـم يخلعـون أحذيتهـم عـلى البـاب، ففعلـت مثلهـم، ولاحظـت أيضًـا أنهـم يحافظـون في جلسـتهم عـلى وضـع باطـن القـدم في الأرض، ولا يضعـون رجـلا عـلى رجـل كعلامـة للاحـترام عنـد الجلـوس.

وقبـل أي شيء قدمـت لي ربـة المنـزل مشروبًـا صباحيًـا دافئًـا يسـمَّى عليـه (جامـو) وهـم يطلقـون عليـه إكسـير الحيـاة، وهـذا عُـرف تقريبًـا في القـرن السـابع عـشر في الأسر الملكيـة، وكانـت النسـاء تشربـة مـن أجـل زيـادة جمالهـن ولحمايتهـن مـن جميـع الأمـراض، وهـو مـن وصفـات الطـب التقليـدي في إندونيسـيا الـذي يشـبه إلى حـد كبـير طـب الأيورفيـدا في الهنـد.

وهـذا الأكسـير مكـون مـن مـن أعشـاب مختلفـة كالكركـم والزنجبيـل والليمـون الطـازج ويمكـن أن يحـلى بالعسـل حسـب الرغبـة، ويقـدم سـاخنًا أو بـاردًا.

ولـه مـذاق غريـب للوهلـة الأولى لكـن مـع الوصـول لمنتصـف الكـوب سـوف تعتـاد عـلى الطعم.

وأثنـاء إعـداد وجبـة الإفطـار سـألتني ربـة المنـزل إذا كنـت أفضـل تنـاول «نـاسي جورينـج» أم «مـي جورينـج» وأخبرتنـي أنـه لا داعـي للخجـل، وأنـه يجب أن أختـار. ولم يكـن لـدي خلفيـة مسـبقة عـن الطعـام الإندونيـسي لأن أغلـب المطاعـم الموجـودة في مـصر مطاعـم صينيـة، كوريـة، وتايلانديـة، وحتـى الفنـدق الـذي أقيـم فيـه في جاكرتـا يقـدم أغلـب الوقـت مأكـولات أوربيـة.

سألتها ما هو ناسي جورينج، ومي جورينج؟

أخبرتنـي أن نـاسي جورينـج هـو الأرز المقـلي، ونحـن نقدمـه مـع الخـضروات أو الدجـاج أو اللحـم، ومـي غورينـج هـي المعكرونـة المقليـة» النودلـز» وهـي نفـس نـاسي جورينـج، ولكـن تحـل النودلـز محـل الأرز.

وسألتها أيهم يفضلون؟

أجابت: نحن نفضل الأرز.

والأرز في إندونيسـيا مثـل الفلبـين يتناولونـه ثـلاث مـرات يوميًـا وهنـاك مقولـة إندونيسـية تقـول: « إذا لم تـأكل الأرز، فإنـك لم تـأكل» وعـلى الأقـل يجـب تناولـه مـرة واحـدة يوميًـا.

وهـم يعتـبرون الأرز هديـة مـن اللـه وحـرص المزارعـون في الحفـاظ عـلى حقـول الأرز الخـضراء لعـدة قـرون بفضـل نظـام الـري المـائي الـذي يسـمح بمشـاركة الحيـاة بـين حقـول الأرز المختلفـة، وأثنـاء الإفطـار لاحظـت أنهـم يقدمـون الطعـام بالملعقـة ثـم يتناولونـه بعـد ذلـك بأيديهـم، وخاصـة اليـد اليمنـي في الأكل ولا يلمسـون أو يشـيرون لأحـد باليـسري.

وفي إندونيسـيا لـن تعطيـك مطاعـم الوجبـات السريعـة مثـل كنتـاكي ومكدونالـدز أدوات لتنـاول الطعـام مـا لم تسـأل لأنهـم في العـادة يتنـاول الطعـام بأيديهـم.

ولاحظـت أن صاحبـة المنـزل هـي آخـر شـخص يجلـس عـلى المائـدة بعـد أن تقـدم كل واجبـات الضيافـة للضيـوف.

والمـرأة الإندونيسـية متحدثـة لبقـة ومثقفـة، ربمـا لأنهـا متعـددة الثقافـات والأعـراق ففـي إندونيسـيا أكـثر مـن ٣٠٠ عـرق وكل عـرق لـه صفاتـة المميـزة والتـي تجعلـه مختلفًـا عـن الآخـر.

المـرأة في إندونيسـيا لا تفكـر في نفسـها فقـط بـل بـكل أفـراد أسرتهـا وأصدقائها، وهـي مزيـج بـين المـرأه العصريـة والمـرأة التقليديـة وهـي تحـب التسـوق والاهتـمام بنفسـها وبمظهرهـا، وأن تبـدو أنيقـة، وهـم يحبـون المجامـلات وعبـارات المـدح كأن تقـول لهـا أنتـي جميلـة، أنيقـة، وغيرهـا مـن الكلـمات الرقيقـة.

وهـي محافظـة جـدًا ولا يمكنهـا العيـش مـع شريكهـا بـدون زواج وربمـا إذا فعلـت فإنهـا سـوف تعاقـب اجتماعيًـا (لكـن هـذا يعتمـد عـلى المنطقـة التـي تعيـش فيهـا. إذا كانـت في جاكرتـا مثـلا فسـوف يكـون الأمـر عاديًـا).

وتهتـم بالتعليـم والعمـل، ومعظمهـم بعـد الـزواج أن تكـون ربـة منـزل وتعتمـد كليًـا عـلى الـزواج في كل شيء، وأهـم صفـات المـرأة الإندونيسـية هـي تفانيهـا وحبهـا لأسرتهـا مهـما كلفهـا الأمـر.

وقـد قـرأت أسـطورة قديمـة منـذ أيـام في «بابـاد تانـه جـاوي» وهـي مخطوطـة قديمـة تـروي تاريـخ مملكـة ماتـارام تحـكي عـن المفهـوم التقليـدي للمـرأة في إندونيسـيا، وعـن فضائلهـا ومهـارة إدارتهـا، وحرصهـا ورعايتهـا لـلأسرة.

تقول هذه الأسطورة: أنه في مكان ما في قرية « دادابان» كان هناك بركة، حيث نزلت حوريات أبسارس من السماء لأخذ حمام.

كان « جاكا تاروب» شابًا يعيش في قرية صغيرة، وكان يبحث عن غزلان في قرية « دادابان» لكنة لم يعثر على أي غزال للآن.

وأثناء البحث عن غزال سمع صوت فتيات يضحكن، ونظرًا ؛ لأن المكان عميق داخل الغابة، تساءل «جاكا تاروب» عن سبب وجود فتيات هناك؟.

تابع «جاكا تاروب» مصدر الصوت حتى وصل البركة الصغيرة، ورأى الحوريات، وقد نزلن من السماء ليغتسلن.

كانت الحوريات تشبة الفتيات الصغيرات وكنَّ جميلات جدًا.

وبينما هنَّ يتحممن، تسلل «شاكا تاروب» وأخذ واحدة من الشالات المُلقاة على أقرب صخرة منه واختبأ.

وكان يشاهد الحوريات وهنَّ يتحدثن مع بعضهم البعض أثناء الاستحمام.

وبعد أن انتهين من الاستحمام وارتدين ملابسهن بدت إحداهنَّ، الصغرى والأجمل على الإطلاق في حيرة ! لأنها لم تجد الشال الخاص بها والذي كان قد سرقة «جاكا تاروب»، فبدون شالها لن تستطيع العودة إلى الجنة.

وسمع جاكا الحوريات الأخريات ينادونها « نوانغ ولان» وأخبرنها أن الوقت قد تأخر وأن عليهن العودة إلى الجنة، وأنهن لن يمكنهن البقاء معها أكثر من ذلك للبحث عن شالها.

ثم رحلن.

وبعد رحيل الحوريات أظهر» جاكا تاروب» نفسه، وتظاهر بتقديم المساعدة.

وافقت « نوانغ ولان» ووثقت به، وذهبت معه إلى منزله.

وفي نهاية المطاف وقع الاثنان في الحب وتزوجا.

كانت « نوانغ ولان» زوجة صالحة، وكانت ماهرة في القيام بالأعمال المنزلية دون بذل الكثير من الجهد، علاوة على ذلك، فإن إمدادات الأرز الخاصة بهم لم تنخفض قط بعد أن تزوجا.

ولكن « نوانغ ولان» قد نهت « جاكا تاروب « عن النظر داخل طنجرتة الأرز أثناء طهية.

لم يمض وقت طويل على ذلك، وأصبحت « نوانغ ولان» حاملا وفي الوقت نفسه أنجت طفلة أسموها « نوانجسية».

وأصبحت مسؤولة أيضا عن مهمة رعاية طفلتها، ورغم ذلك ما زالت « نوانغ ولان» لا تواجه أي صعوبات في إدارة الأعمال المنزلية، عكس النساء الأخريات اللاتي يتذمرن من رعاية الأطفال والقيام بالأعمال المنزلية.

في نفس الوقت شعر « جاكا تاروب» بالفضول الشديد تجاه كل هذه الأشياء وحاول اكتشاف سرها، وفعل ما نهته عنه « نوانغ ولا».

فتح غطاء الطنجرة أثناء طهي الأرز ونظر داخله، واكتشف أن «نوانغ ولان» تستخدم حبة واحدة فقط من الأرز للطهي داخل الطنجرة.

وعرف الآن سرَّ عدم انخفاض مخزون الأرز الخاص بهم، وأن « نوانغ ولان» كانت تستخدم قدراتها في العمل في الأعمال المنزلية.

ولكن حدث شيء ما بعدما نظر « جاكا تاروب « في الطنجرة. بدأت « نوانغ ولان» تواجه صعوبات مختلفة في أداء مهامها.

علاوة على ذلك بدأت إمدادات الأرز في الانخفاض، وفقدت «نوانغ ولان» قوتها كحورية، وأصبحت إنسانة عادية.

عندما كان مخزون الأرز قد استهلك تقريبًا، رأت « نوانغ ولان» شالها القديم عن غير قصد في مخزن الأرز.

واكتشفت أن « جاكا تاروب « هو الذي سرق شالها طوال الوقت وبسببه لم تستطع العودة إلى الجنة، مما أغضبها غضبًا شديدًا.

والآن وبعد أن وجدت شالها قررت العودة إلى الجنة.

ناشدها جاكا بعدم المغادرة، لكن قرارها كان نهائيًا، ولكن قبل ذهابها طلبت منه أن يبني كوخا خارج منزلهم وأمرته أن يترك « نوانجسية» هناك كل ليلة، وأنه لا ينبغي أن ينظر أبدًا إلى داخل الكوخ، بينما ستكون هي في الداخل لإرضاع الطفلة.

منذ ذلك الحين وجاكا يأخذ «نوانجسية» كل ليلة إلى الكوخ حتى كبرت.

كانت « نوانغ ولان» تهتم جدًا بعائلتها من السماء وكانت دائمًا تقدم المساعدة لهم عندما يحتاجون إليها.

بعد سنوات أصبح «جاكا تاروب» رئيسًا للقرية ويعرف باسم «كي

أغنغتاروب» وأصبح صديقًا لـ « براويجايا» ملك مملكة ماجا باهيت» (١٢٩٣-١٥٠٠).

وتزوجت « نواجسية « لاحقًا من نجل « براويجايا»، « ليمبوبيتنج» وأنجبوا ولدًا كان يعرف باسم «كي جيتاسباندوا» وكان لدية ابن يدعى «كي أغنغ سيلا» وهو الجد الأكبر لـ « بانيمباهان سيناباتي» مؤسس مملكة ماتارام.

***

وبعد الإفطار بدأت جولتنا التي بدأت بزيارة شلَّالات « بوجور» وفي بوجور لن تروا شلالًا واحدًا فقط بل ثلاثة، ويمكن للزائرين السباحة فيها أو ممارسة أنشطة التجديف.

ثم اتجهنا إلى حديقة تشيبوداس النباتية والتي أنشِئَت عام ١٨٥٢ لزراعة النباتات شبه الآسيوية، على مساحة ٢١٠ فدان، من قبل عالم النباتات الهولندي يوهانس إلياس تيجسمان على سفوح جبل جيدي.

إنها حديقة كبيرة وجميلة وأفضل طريقة للاستمتاع بها هو بالتنزُّه فيها، معظم الناس يفترشون حصيرًا، ويجلسون تحت الأشجار، وإذا لم تملك واحدة فإمكانك استئجارها من المكان، والبعض قد وضع بعض الخيام الصغيرة الحجم لكنه لا يسمح التخييم في الحديقة بل فقط لمجرد الجلوس داخلها أثناء مواعيد العمل الرسمية.

ومن حديقة تشيبوداس اتهجنا إلى حديقة نوسانتارا للزهور، ويبدو أن الحديقة كبيرة لأنه عند شراء تذاكر الدخول أخبرنا الموظف إذا ما كنا نرغب شراء تذكرة أخرى لركوب القطار داخل الحديقة حتى نتمكن من رؤية الحديقة بأكملها.

أول شيء رأيته عندما دخلت الحديقة هو طاووس كبير من النباتات الخضراء ثم رأيت ديناصورًا وأرنبًا أيضًا من النباتات الخضراء الزاهية، ويوجد في هذه الحديقة آلاف الأنواع من الزهور ونباتات من خارج

إندونيسيا من نبات البردي من مصر الذي يستخرج منه ورق البردي، وهذه الحديقة سهل أن تضيع فيها فهي تحتوي على العديد من الحدائق داخلها وكل حديقة تمثل بلدًا مختلفا، مثل الحديقة اليابانية وهي مكان يوحي بالاسترخاء، وهي تمثل فلسفة الزن وبها بركة وشلالات صغيرة ومنزل من الخيزران التي يعتقد أنها تخلق تناغم يؤدِّي إلى الاسترخاء للأشخاص الذين يتواجدون داخلها.

وحديقة البحر الأبيض المتوسط التي ينمو داخلها نبات الصبار، وحديقة النخيل وهي حديقة واسعه يتم فيها زراعة أشجار النخيل، والحديقة المائية التي تنمو فيها زهرة اللوتس، والحديقة الفرنسية بأشكالها الهندسية، ويوجد بها متاهة شهيرة ستأخذ وقتا لتخرج منها.

* * *

قطط القهوة

وبعد قضاء يوم مميز سألت صديقتي عن ما إذا كان يوجد مكان قريب لشرب كوب من القهوة ؟

فأجابت سوف أخذك لمكان يقدم أغلى كوب قهوة في العالم.

وهنا أجبتها بصوت عالٍ لا.

لا أريد أغلى قهوة في العالم بل أريد أرخص قهوة في إندونيسيا.

ولم تتمالك نفسها من الضحك بعد أن عرفت أني أعرف أغلى قهوة في العالم.

وقد عرفت أغلى قهوة في العالم عن طريق أحد الأصدقاء الإندونيسيين الذين يقيمون في مصر، وأراد أن يهديني ذات مرة عند عودته من إندونيسيا هدية أخبرني أنها قيمة وباهظة الثمن وأنها سوف تعجبني.

وفتحت الهدية لأجد كيس صغيرًا جدًا من القهوة ولأنني من عشاق القهوة، فقد فرحت بالهدية، ولتجربة نوع جديد من القهوة، أخبرني أنها لم يتذوقها سابقًا.

فقلت له سوف أعد كوبين، مددت يدي لأخذ البنّ، فإذا به يسألني هل تحبين القطط؟

أجبته: نعم أحبُّها جدًا، كان عندي قطة شيرازي جميلة وأنجبت ٤ قطط لكن بسبب سفري الدائم تركتهم لدى إحدى الصديقات.

فأجاب: جيِّد جدًا.

ثم سألني ثانية : هل كانت قططك تأكل معك (نفس الأكل الذي تأكلين) أم كنتي تقدمين لها أكل القطط؟

بدأت أشعر بعدم الارتياح من أسئلته وخصوصًا تزامن الأسئلة مع توقيت إعداد القهوة.

وشرعت أنظر على غلاف عبوة البنّ، الذي ما زال موضوعًا أمامي على الطاولة كان مكتوبًا عليها (كوبي لواك) وخمنت أنها اسم القهوة أو نوعها، وتحت الاسم صورة قطة.

وراح خيالي يرسم تصورات عن القطط في إندونيسيا.

هل القطط في إندونيسيا تحب شرب القهوة؟

«لم لا».

ذات مرة قطتي شربت بعض الشاي من فنجاني ويبدو أن طعمه أعجبها لدرجة أنها كلما تراني أمسك فنجان شاي تحاول أن تحشر فمها فيه.

ولاحظ أنني أنظر إلى كيس البنِّ، فقال: « تعرفي أن عندنا نوع من القطط يحبُّ القهوة» في الحقيقة ليس قطط بالضبط لكنها تشبه القطط، ويطلق عليها « قطط الزباد» تأكل حبوب القهوة دون هضمها، وعند إفرازها يتم تجميعها عن طريق المزارعين ثم يتم غسل حبوب البُنِّ وتنظيفها من الفضلات الأخرى وتجفيفها ثم تحميصها.

وبفضل الإنزيمات الخاصة داخل جسم تلك القطط تتغير تركيبة بروتينات حبوب القهوة التي تزيل حموضتها وتكسبها نكهتها المميزة، وهذا هو سبب ارتفاع سعرها.

جلست هادئة للحظات ثم سألته هل تقصد أن هذه القهوة هي براز القطط ؟

- ليس بالضبط، فكما أخبرتك بأنه مرَّ بالعديد من المراحل ومرَّ أيضًا بعمليات تعقيم، وهي آمنه مئة بالمئة.

وراح يحكي لي قصة اكتشاف القهوة، وكأنه يحاول أن يجد تبرير لشربها، وقال: أثناء الحكم الاستعماري الهولندي كان المستعمرون يحصدون حبوب القهوة بأنفسهم بعد أن منعوا المزارعين وعمال المزارع الأصليين من حصاد القهوة لاستخدامهم الخاص.

وبعد فترة اكتشف المزارعون أن قط الزباد يأكل حبوب القهوة دون هضمها مثل ما يفعل مع معظم بذور الفواكه.

ويقال أن قط الزباد ينتقي الحبوب بشكل انتقائي، وهكذا اكتشف المزارعون طريقة أخرى لجني حبوب القهوة وبيعها بسعر عال الثمن، وأخبرني أن تكلفة الفنجان الواحد يتراوح سعرة من ٣٥ إلى ١٠٠ دولار

والآن دعينا نخوض التجربة، ونجرب إذا كانت القهوة تستحق أم لا.

ربما ليس اليوم أحتاج أن أفكر في الموضوع، هكذا أجبته وإلى اليوم

يسـألني عـن مصـير الهديـة، وليـس أن كنـت قـد جربتهـا أم لا.

وفي اليـوم التـالي ذهبنـا إلى بحـيرة «جنغـاري»، وأخذنـا قـارب لنبحـر بـه إلى مطعـم الأسـماك الموجـود في قلـب البحـيرة، يقطـع القـارب المسـافة في حـوالي نصـف سـاعة.

إنـه تجربـة مختلفـة تمامًـا عـن كل المطاعـم التـي رأيتهـا في حياتي،الفكـرة ليسـت في الطعـام والـشراب بقـدر الأماكـن، فالمطعـم في وسـط البحـيرة، في منطقة المـزارع السـمكية حيـث تختـار الأسـماك الطازجـة، فتطهـى أمامـك مبـاشرة.

تخيـل أنـك جالـس في منتصـف بحـيرة حيـث الأسـماك بأنـواع كثـيرة تسـبح حولـك، والصيـادون بشـباكهم العملاقـة فـوق مراكبهـم يرمـون الشـباك في البحيرة، وهـم يجلسـون في صـبر مـاذا سـتحمله شـباكهم.

فيمدون أيديهم لالتقاط الشباك.

نشـاهد العمليـة مـن أولهـا لأخرهـا بينـما ننتظـر طعامنـا ونحـن جالسـون على الأرض، فـلا توجـد طـاولات في هـذا المـكان، بـل حصيرمنسـوج وهـذا أمـر شـائع في إندونيسـيا فأغلـب البيـوت تتنـاول الطعـام عـلى الحصـير وليـس الطاولة.

وبعـد الانتهـاء مـن تنـاول الطعـام بـدأت رحلـة العـودة بالقـارب لمـدة نصـف سـاعة أخـرى.

وفي المسـاء خرجنـا نتجـول حـول البيـت، ولاحظـت وجـود عـرب كثيريـن في المنطقـة وعرفـت أن أغلـب الفيلـل مؤجـرة لعـرب، ويوجـد عـدد قليـل منهـم يقيـم فيهـا (إقامـة مؤقتـة أو دائمـة) لذلـك فمـن المنطقـي أن تجـذب المنطقـة مزيـدًا مـن العـرب.

ولذلـك لم أتفاجـأ عندمـا دخلـت السـوبر ماركـت، ووجـدت علـب مـن جبنـة بـوك، وعصـير نـادك، وفـول مدمـس.

وهـذا أحـد أسـباب تحـدُّث الإندونيسـيين للعربيـة بسـبب تواجـد السـياح العـرب الدائـم، لذلـك إذا ذهبتـم إلى إندونيسـيا، فلـن تفتقـدوا سـماع اللغـة العربيـة، فهـي الأقـرب والمفضلـة للإندونيسـيين بعـد لغتهـم الأم «البهاسـا» عكـس الإنجليزيـة التـي لايتحدثهـا معظـم النـاس، وهـم لديهـم إيمـان وقناعـة حـول عـدم تعلـم الإنجليزيـة، وهـو أن اللغـة الإنجليزيـة سـوف تقـوض الثقافـة والهويـة الوطنيـة.

وإذا سألت أحدًا في إندونيسيا لماذا لا تتحدث الإنجليزية ؟ فسوف يرد عليك على الفور، ولماذا لا تجيد أنت «البهاسا»؟.

سؤال ذكي !

وقد لا تستغرب إذا قرع جرس المنزل، وفتحت بابك لتجد من تعرض عليك جلسة تدليك، أو عمل حجامة والتي يشتهر بها الإندونيسيين أو تجد بائعًا يعرض عليك بعض الإكسسوارات والهدايا.

وذات مساء قرع جرس الباب ففتحت صديقتي، وإذا بأحد الباعة الجائلين يحمل إكسسوارات وعرض علينا شراء أي شيء، أخذت صديقتي منه سوارًا خشبيًا وطلبت منه أن يكتب اسمي عليه، وفور أن انتهى وجدته قد كتب اسمي بالعربية.

وفي الساعة التاسعة مساء ينتهي كل شيء تختفي كل الأصوات في المكان ولا يقرع الباب، ولذلك فإن أغلب المقيمين في بونشاك يحبون مشاهدة التلفزيون في المساء.

وعدنا صباحًا إلى جاكرتا بعد انتهاء أجارة نهاية الأسبوع وشريط من الأحداث يمرُّ أمامي أحاول أن أدونها حتى لا أنسى شيئًا.

قط الزباد

*****

شوربة كوارع في جاكرتا

نزلت للتمشية حول الفندق الذي أمكث فيه (أستون راسون) ووقفت أنظر للمباني المحيطة به وعلى بُعد عدة خطوات رأيت لافتة كبيرة مكتوب عليها بالخط العريض « مطعم التحرير».

التحرير في إندونيسيا!

أكاد أشم رائحة بلادي.

لم أكن جائعة وقتها، ولا أعرف لماذا دائمًا يداهمني شعورٌ بالحنين لأي شيء من ريحة بلادي عندما أسافر لأي بلد حتى ولو أجازة قصيرة، فأنا لست في غربة، أنا في رحلة اختياري، وسأعود بعدها إلى بلدي.

ودخلت المطعم.

في المطعم جلست على إحدى الطاولات، وفتحت قائمة الطعام أنظر فيها، وأنا مبتسمة كانت قائمة الطعام تحتوي «شوربة كوارع»، مسقعة، وطبعًا فول وطعمية وغيرها من الأكلات المصرية الأصيلة.

«شوربة كوارع» في جاكرتا!

أنا لم آكل شوربة كوارع في مصر، لكني قررت أن أطلب شوربة كوارع وأجربها لأول مرة في حياتي !

وأكلت لأول مرة شوربة الكوارع.

* * *

المدينة القديمة

(باتافيا)

لقد خلف تاريخ إندونيسيا الاستعماري الطويل عددًا من المواقع التراثية التي لا تقدر بثمن مثل المدن القديمة التاريخية التي تشهد على كل القصص والأحداث التي ساعدت في تشكيل الأمة.

«باتافيا» إحدى تلك المدن التي خلفها الاستعمار الهولندي، ولم تكن باتافيا مجرد مدينة عادية في إندونيسيا، بل كانت العاصمة القديمة لإندونيسيا.

اليوم يطلق عليها المدينة القديمة أو «كوتا توا» وجولة واحدة فيها كفيلة بأن تعطي انطباعًا عن المستوطنة الأوربية التي كانت تعيش هنا يومًا.

عندما وصلت أشار لي السائق إلى ساحة كبيرة قائلا «ساحة فتح اللَه» وعرفت أن هذا هو المكان، نزلت من السيارة ووقفت للحظات أتأمل تلك المدينة محاولة وأتخيل كيف أن جاكرتا كانت محصورة كلها في تلك المنطقة الصغيرة التي أنشأها الهولنديين لتكون مركزًا للتجارة في القرن السادس عشر بسبب موقعها الإستراتيجي وكيف ضاع تاريخ هذه المنطقة مع موجة التطور العمراني التي اجتاحت المدينة؟.

وبدأت في التجول في الساحة الرئيسية التي تصطف على جانبيها مبانٍ تتميز بملامح معمارية تعود إلى الحقبة الاستعمارية لتعطينا انطباعًا عن المستوطنة الأوربية التي بدأت في جاكرتا.

وأول شيء وقعت عليه عيني في المدينة هو دراجات ملونة بألوان زاهية وجميلة تأثر العين ويمكنك استئجارها مقابل ٢٠٠٠٠ روبية لمدة نصف ساعة، وكل دراجة تأتي مع قبعة متطابقة مع لون الدراجة.

تبدو مغرية للغاية لكني كنت أفضل السير على الأقدام.

وأثناء تجولي وجدت متحف التاريخ الذي تم تشيده عام ١٧١٠ وعرفت أنه في الأصل كان قاعة المدينة سابقًا.

وعلى الجانب الآخر من المتحف يوجد متحف وايانغ المخصص للعرائس الجاوية، ويتم فيه استخدام الدُّمى بشكل تقليديًا.

وأثناء تجولي رأيت أيضًا متحف الفنون الجميلة والسيراميك داخل محكمة العدل القديمة التي بناها الهولنديون عام ١٨٧٠ وهي تشكل أحد جوانب الساحة الرئيسية لكوتا توا، ويعرض مجموعة من التصميمات عبر الأرخبيل، ويعرض فيه أيضًا أعمالًا فنية من القرنين التاسع عشر والعشرين وأعمالًا خزفية حديثة، وهو من أكثر المباني المعمارية المثيرة للإعجاب.

وعلى بُعد عشر دقائق سيرًا على الأقدام من الساحة الرئيسية يوجد المتحف البحري، وقد أقيم في المستودعات السابقة لشركة الهند الشرقية الهولندية.

ثم متحف بنك إندونيسيا وهو من المتاحف المثيرة للاهتمام والجديدة في الوقت نفسه، وهو متحف حديث للوسائط المتعددة والتفاعلية لقصة البنوك في إندونيسيا.

وأثناء جولة المتاحف والتمشية في أنحاء المدينة فإن أكثر مكان للراحة وأخذ كوب من القهوة هو مقهي « باتافيا» في الساحة الرئيسية المطل على قاعة المدينة.

وعرفت من النادل أن المقهى سمِّي على اسم المستعمرة السابقة للعاصمة، ويقع أيضًا في مبنى من القرن التاسع عشر، وهو ثاني أقدم مبنى في الحي بعد مبنى مجلس المدينة السابق، وزرت بعد ذلك الكنيسة البروتستانتية التي بُنيت عام ١٩٦٥

تصطف المقاهي، وعازفي الموسيقي الذين يؤدُّون عروضهم أمام الجماهير، وعربات الطعام التي تعطي الساحة روائح متعددة، وهي أفضل مكان لتجربة أكلات الشارع الإندونيسية والأكل جيد وسعره بسيط والتجربة هنا مختلفة تمامًا عن الفلبين، فالأطباق الشعبية هنا لذيذة وشهية للغاية، وغالبًا ما يكون الأرز المطهو على البخار، أو النودلز مع بيض أو لحم وخضروات وفطائر محلية.

باتافيا

٥
سومطرة

إنسان الغاب

تقع جزيرة سومطرة في غرب إندونيسيا، وهي تقدم جانبًا مختلفًا من هذا البلد الشاسع المليء بالسحر والخيال والذي يحثُّ على المغامرة.

الانفجارات والزلازل والبراكين وموجات التسونامي والغابات المطيرة هي العناوين الرئيسية له.

هذه الجزيرة أيضًا هي موطنٌ للحيوانات المهددة بالانقراض مثل نمر سومطرة ووحيد القرن والأورانجوتان - Orangutans(إنسان الغاب الأول) وهو ضمن منطقتين في العالم فقط يمكنك فيهم رؤية «إنسان الغاب» في بيئته الطبيعية في الغابات المطيرة هاتان المنطقتان هما جزيرة بورنيو، وهي مقسمة بين إندونيسيا وماليزيا وبروناي والآخر هو جزيرة سومطرة الإندونيسية.

وكانت الانطلاقة الأولى في سومطرة هي بالذهاب إلى حديقة جونونج ليوسر الوطنية لرؤية الأورانجوتان.

وكلمة أورانجوتان بلغة الملايو تعني إنسان الغاب.

وتوجد رحلتان يوميًا من ٨:٣٠ : ٩:٣٠ ومن ٣:٤ مع دليل ولا يمكن الذهاب دون دليل لأنك ستضيع إذا كنت لا تعرف الغابات المطيرة جيدًا، والهواتف النقالة لا تعمل هناك وتوجد أيضًا بعض الحيوانات الخطرة، ويسمح للزوار برؤية حيوانات الأورانجوتان التي تقضي معظم حياتها فوق قمم الأشجار، يتسلقون من فرع إلى فرع، يبحثون عن الطعام، ويصنعون عششًا جديدة كل ليلة في الأشجار ليناموا فيها.

نظامهم الغذائي يتكون من العناصر النباتية والحشرات وغالبًا ما تأكل بيض الطيور والفقاريات الصغيرة، وهي حيوانات ذكية للغاية ولدى الأنثى نفس سلوك الأم مع طفلها الذي يشبه نفس السلوك الإنساني.

تلـد أنثـى الأورانجوتـان مـرة كل ثمـان سـنوات، ويبقـى الطفـل معهـا حتـى يبلـغ ٧ او ٨ سـنوات، ويتعلـم البقـاء عـلى قيـد الحيـاة في الحيـاة البريـة بمفـرده.

ولا يوجـد اسـتراد لتمـن التذكـرة إذا لم تظهـر الحيوانـات في الغابـة لكـن المرشـدين يبذلـون أقـصي جهدهـم لجـذب الحيوانـات بالطعـام.

وأثنـاء سـيرنا ظهـر فجـأة أمامنـا أنثـى أورانجوتـان عـلى بعـد حـوالي ثلاثـة أمتـار، وهـي تحمـل طفلهـا، وتمـد زراعيهـا الطويلـة لأحـد السـياح الـذي يحمـل بعـض أصابـع المـوز في يـده.

لقد أدهشتني !

إنهـا مسـالمة، وتعـرف كيـف تطلـب الطعـام، ظللـت أراقبهـا حتـى رأيـت أحـد القـردة يتأرجـح مـن شـجرة لشـجرة، وهـو ينظـر إلينـا، لقـد بـدا أيضًـا مسـالمًا، وهـو يراقبنـا بعينيـة البنيـة الكبـيرة

ثم اختفى في الغابة، وانتهت مع اختفائه الساعه بسرعة البرق.

الأورانجوتان

البحيرة السحرية

في سومطرة أيضا في الجزء الشمالي بحيرة سحرية اسمها بحيرة " طوبا" وهي اكبر بحيرة في جنوب شرق آسيا واكبر بحيرة بركانية في العالم يبلغ طولها ١٠٠ كيلو متر وطولها ٣٠ كيلو متر وأعمق نقطة في البحيرة تصل إلى ٥٠٥ مترًا.

تشكلت بحيرة طوبا بعد ثوران بركاني كبير قبل ٧٥٠٠٠ سنة، وهي أكبر جزيرة تقع داخل جزيرة.

معظم الناس الذين يعيشون بالقرب من هذه البحيرة هم أشخاص من قبيلة باتاك، وهم يعملون كمزارعين، أو تجار أو صيادين.

في منتصف البحيرة توجد جزيرة بركانية اسمها ساموسير، ويحيط بالبحيرة تلال جميلة، ونباتات واشجار الصنوبر والنخيل، وحيوانات برية مثل القردة.

وفقًا للأسطورة المحلية، فإن بحيرة طوبا تكوَّنت على النحو التالي : ذات مرة كان هناك مزارع شاب اسمه طوبا.

كان يعيش في وادٍ كانت الأرض خصبة فيه، لذلك كان قادرًا على دعم حياته بالمحاصيل التي تنمو فيه رغم أنه لم يكن رجلًا ثريًا.

في أحد الأيام شعر أنه يريد أن يأكل السمك، فذهب للصيد في نهر ليس بعيدًا عن منزله، كان النهر عادة غنيًا بالأسماك، لكنه في ذلك اليوم الغريب ظل لفترة طويلة لم يصطاد أي سمكة، لذلك قرر العودة إلى المنزل، وعندما كان يستعد للمغادرة، اصطادت صنارته سمكة كبيرة، عندما رفع السمكة، حدث فجأة، أن بكت السمكة وتوسلت إليه أن يطلقها.

لقد فوجئ برؤية السمكة تتحدث، فقذفها إلى النهر، لكن فجأة تحولت السمكة إلى امرأة شابة جميلة.

قالت الشابة إنها كانت في الواقع أميرة لعنت لتكون سمكة.

وأعربت عن شكرها للمزارع الشاب لكسر لعنتها، وأظهرت امتنانها له، وكانت على استعداد لأن تكون زوجته بشرط ألا يخبر المزارع أي شخص عن كونها سمكة ولا مرة واحدة، وإلا ستقع عليه كارثة فظيعة.

تزوج المزارع والمرأة، وبعد فترة أنجبت له طفلًا أسموه سامو سير.

نشأ الولد ليكون طفلًا يتمتع بشهية كبيرة، كان دائمًا جائعًا، ويأكل كل الطعام على المائدة، ولا يترك أي طعام لوالديه ليتناولنه.

وذات يوم طلب الصبي من أمه أن يوصل الطعام لوالده الذي كان يعمل في الحقل.

وأثناء الطريق شعر الصبي بالجوع، فأكل الطعام الذي كان يحمله لوالده.

كان الأب جائعًا جدًا ومتعب بعد يوم شاق من العمل، لكنه اكتشف أن ابنه أكل الطعام كله، ولم يترك له أي شيء ليأكله.

فقد طوبا أعصابه، وفي زمرة غضبه ضرب الصبي ودعاه بـ" ابن السمكة».

ركض الولد إلى والدته، وهو يبكي، وسألها عما إذا كان حقًا نجل سمكة.

صدمت الأم وحزنت لسماع ذلك لأن زوجها قد كسر الوعد، وأمرت الصبي بأن يصعد إلى التل بالقرب من منزلهم ويعتلي أعلى شجرة فيه.

وسارعت هي إلى النهر حيث التقت بالمزارع الشاب للمرة الأولى، واختفت!

وفجاءة تحولت السماء إلى اللون الأسود وهب الرعد والبرق، وسقطت أمطار غزيرة على الوادي.

وفاضت المياه، وغمرت القرية بأكملها، وتحولت النهر إلى بحيرة.

سمَّى الناس البحيرة باسم المزارع طوبا.

وأصبح التل جزيرة في وسط البحيرة، وأسماها الناس جزيرة ساموسير.

ويعتقد أن ساموسير هو جد شعب الباتاك (قبيلة إندونيسية هاجرت من الفلبين وبورنيو منذ حوالي ٤٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ عام) في شمال سومطرة.

ويقال أيضًا أن بحيرة طوبا نشأت من خلال جبل أسطوري يسمَّى جبل توهويابا، ويقال أن جبل توهويابا انفجر مما أدى إلى إنشاء بحيرة طوبا.

وكانت المنطقة المحيطة بالبحيرة مأهولة بشكل عام من قبل شعب « الباتاك» ويقال أن «راجا باتاك» أو ملك الباتاك الجد الأسطوري لجميع قبائل الباتاك نزل على جونونج بوسوك بوهيت، وهو بركان على ضفاف بحيرة طوبا الغربية.

وفي الوقت الحاضر توجد سته قبائل من قبائل الباتاك حول البحيرة، كل

منهـا مختلـف، لكنهـم لا يزالـون مرتبطـون ببعضهـم البعـض في اللغـة والعـادات والتقاليد.

* * *

التل المرتفع

ومن بحيرة طوبا استقللت حافلة عامة إلى بوكيتنجي (باللغة الإندونيسية تعني التل المرتفع) وهي مدينة صغيرة تعجُّ بالحياة المحلية وتقع في مينانج كابو على بعد ٩٠ كيلومتر من مدينة بادانج عاصمة غرب سومطرة.

ولأنها مدينة صغير فهي توفر التنقل بسهوله سيرًا على الأقدام، وتمنح الزائرين فرصة للتعرف على نمط حياة السكان المحليين.

وهذه المنطقة بها ٩٧٪ مسلمين وهي محافظة أكثر من غيرها من الأماكن في البلاد، وعلى الرغم من أنهم مسلمون إلا أنهم مازالوا يمارسون تقاليدهم العرقية التي انبثقت عن معتقدات هندوسية وبوذية قديمة قبل وصول الإسلام إلى جزيرة سومطرة.

ويعرف عنهم أنهم أكبر مجتمع أمومي في العالم فمثلا يتم توريت النساء الأرض والممتلكات من الأم إلى ابنتها.

وعلى عكس الشائع بعد الزواج أن تنتقل الزوجة إلى منزل زوجها فإن الرجال هنا هم من ينتقلون إلى منزل الزوجة، ويجلبون معهم ملابسهم والأشياء التي قد يحتاجونها.

عملية صنع القرار تكون بتوافق الاراء وجميع القراءات تقريبًا تتطلب اجماعًا من الرحال والنساء، والرجال والنساء متساوون، وكل شخص يقدر دوره في الحياة.

النساء في قبيلة مينانجاكاو هم من يحملون النسب والطفل يتبع والدته ولا يمكن لرجل أن يورث ابنه من قبيلته.

لذالك فوجود الفتيات مهم لأنه إن لم يكن هناك فتاة في القبيلة فيمكن القول أن القبيلة قد انقرضت.

ويقال أن تلك العادات قديمة وأنها تعود لمنتصف القرن الثاني عشر، عندما توفي ملك يدعى مهراجوديراجو، الذي أسس مملكة كوتو باتو، تاركًا وراءه أسرته، التي كانت تتألف من زوجاته (ثلاث زوجات) وثلاثة أبناء بعد وفاة الملك، تولت بوتي إندوجاليتو، الزوجة الأولى لمهراجوديراجو، مسؤولية

الأطفـال وكذلـك المملكـة.

وتقـدم بوكيتنجـي بُعـدًا ثقافيًـا عـن إندونيسـيا بالإضافـة إلى ذلـك فـإن بهـا بعـض المعـالم التاريخيـة مثـل الحصـن الهولنـدي، وأنفـاق الحـرب العالميـة الثانيـة اليابانيـة، وبـرج السـاعة الـذي تـم بنائـه أثنـاء الاحتـلال الهولنـدي، ويطلـق عليـه النـاي "بوكيتنجـي بيـج بـن" حتـى أنهـا أصبحـت رمـزًا للمدينـة، والطبيعـة الخلابـة والوديـان والبحـيرات.

يحيـط بهـا أيضًـا جبـل سـينجالانع، وهـو جبـل بـركاني غـير نشـط وجبـل مـيرابي، وهـو جبـل بـركاني نشـط.

* * *

جبل النار

جبل ميرابي يعني حرفيًا جبل النار، ويبلغ ارتفاعه ٢٩٦٨ مترًا وهو من أخطر البراكين في العالم، ولديه سجل هائل من الانفجارات الكبيرة.

الرحلة إلى ميرابي هي نوع من المغامرات الخطيرة، لكنها تستحق التجربة.

والطريقة الأكثر شيوعًا للزائرين لاستكشاف جبل ميرابي هي بالقيام بجولة في سيارة جيب، وهناك عدد قليل جدًا من الشركات التي تقدِّم مثل هذه الجولات وعندما تنظر بعينيك إلى أعلى الجبل سوف تعرف لماذا لا يمكنك القيام بهذه الرحلة في سيارات عادية.

تسير السيارة ببطء في الوحل لأن الصماء قد أغرقت الأرض بالأمطار الكثيفة، المكان كله غارق بالماء، ولعلَّ تلك المياه تستطيع أن تبرد نيران البركان.

تنحرف السيارة في زوايا متعرجة حتى وصلنا أخيرًا إلى أبعد نقطة ممكن أن تصل إليها سيارة الجيب، وهي قرية تدعى كالياد على بعد حوالي ٤ كيلو متر لأعلى البركان.

من هنا أستطيع أن أرى بركان ميرابي الغاضب بوضوح.

إنه يشبه عملاقًا، عملاقًا كبيرًا واقفًا أمامي، ينفث غضبه داخله، في انتظار أن ينفجر في أي لحظة، في مقهى بسيط بالقرب منه وحولي أشخاص جاءوا من أنحاء مختلفة من العالم ليروا هذا العملاق مثلي.

أنظر إلى القمة في رهبة شديدة، وهي تتصاعد منها الدخان وأنظر للناس وإلى نفسي، وأشعر كم نحن صغيرين جدًا بجانبه.

مع أن ميرابي ليس أكبر بركان في إندونيسيا لكنه أكثرهم شرًا ونشاطًا وتدميرًا.

متحف المنزل المهجور

وفي الطريق للعودة أخبرنا الدليل بأننا سنمرُّ على إحدى المتاحف في المنطقة لزيارته وأخبرنا أن اسم المتحف متحف جبل ميرابي.

توقفت السيارة أمام إحدى المنازل المهجورة، وأشار الدليل جدار المنزل

قائلا : إن هذا هو المتحف!

إنه متحف فريد من نوعه مقام على جدران أحد المنازل أقامه أحد السكان بعد أن جمع عناصره من المنطقة بعد انفجار البركان عام ٢٠١٠ والذي أودى بحياة ٣٥٣ شخصًا.

من بين الأشياء المعروضة في المتحف بقايا عظام حيوانات، نصف دراجة، معادن ملتوية، بلاستيك مصهور، الساعة التي توقفت في لحظة التدمير بالضبط.

* * *

عاصمة الطهي

«ميدان» هي ثالث أكبر مدينة في إندونيسيا وعاصمة مقاطعة سومطرة الشمالية، ومثلها مثل جاكرتا يستخدمها الناس كنقطة دخول وخروج للانتقال إلى أماكن أخرى.

وهي مشهورة بكونها عاصمة الطهي في إندونيسيا وتشتهر بأطباقها المحلية الشهيرة التي عادة ما تكون حارة، وهم يضيفون التوابل مثل الفلفل الحار، الزنجبيل والثوم، والكزبرة وغيرها من التوابل.

أحد الأطباق الشهيرة في سومطرة هو «ناسي بادانج» (الأرز الأبيض) ويحظى بشعبية كبيرة، يليه»سوتو» وسوتو هو حساء إندونيسي تقليدي يتكون من المرق واللحم والخضراوات ويسمَّى الحساء التقليدي سوتو بينما الحساء الغربي يطلقون عليه «سوب» بالإنجليزية.

ثم «أيام غورنغ» وهو الدجاج المقلي، و»أنجاك ميدوك» وهي حلوى تقليدية مصنوعة من دقيق الأرز وحليب مكثف وحليب جوز الهند والبيض.

وهناك أيضًا المعالم الثقافية التي تشتهر بها مدينة «ميدان» مثل «أستانا ميمون» أي قصر ميمون، وهذا القصر بني بواسطة السلطان «مأمون الرشيد بيركاسا عالم» في ٢٦ أغسطس عام ١٨٨٨ واكتمل بنائه في ١٨ مايو ١٨٩١.

عندما دخلت القاعة الرئيسية لقصر ميمون، استقبلني أحد الأشخاص وقدم نفسه بأنه مرشد سياحي، وبدأ بشرح بعض التفاصيل عن القصر، وأثناء تجولنا، أخبرني أن هذا القصر هو من بقايا سلطنة «ديلي» التي أسسها السلطان محمود الرشيد الذي كان سليل الملك التاسع في السلطنة.

أول ما لفت نظري هو اللون الأصفر الذهبي الذي يهمين على القصر، وعرفت أنه يرمز لمملكة ديلي.

تبلغ مساحة القصر٢٧٧٢ مترًا مربعًا، وبه ٣٠ غرفة موزعة على طابقين، والقصر مقسم إلى ثلاثة أجزاء، المبني الرئيسي، والجناح الأيمن، والجناح الأيسر

أخبرني المرشد أن المبني الرئيسي هي الغرفة التي استخدمت لحفل تتويج

السـلطان، وكانـت تسـتخدم للمناسـبات التقليديـة، وكانـت المـكان الـذي كان يسـتقبل فيـه سـلطان ديـلي ضيوفـه.

الغرفـة ذات سـقف عـالٍ ومزينـة بزخـراف جميلـة، ومسـاحتها حـوالي٤١٢ مـترًا مربعًـا.

القـصر جميـل بلاشـك وروعـة الهندسـه المعماريـة التـي تجمـع بـين عنـاصر مـن الـتراث الثقـافي لشـعب الملايـو، والثقافـة الإسـلامية والإسـبانية والهنديـة والإيطاليـة، وهـذا يبـدو واضحًـا في الثريـات، الكـراسي، النوافـذ، الأبـواب، الطـاولات، الخزانـات.

وبجـوار القـصر يوجـد مسـجد ميـدان الكبـير، وهـذا المسـجد بنـي عـام ١٩٠٦ في عهـد السـلطان مأمـون الراشـد بلكاسـا، وبلغـت تكلفتـه حينهـا مليـون قطعـة ذهبيـة دفعهـا السـلطان مـن ميزانيـة الخاصـة.

يجمـع المسـجد بـين الطـراز الإسـلامي والهنـدي والأسـباني، مـواد البنـاء وأعـمال الديكـور تـم اسـتيرادها مـن المانيـا والصـين وإيطاليـا، أمَّـا الزجـاج الملـون والثريـات فقـد تـم اسـتيرادهم مـن فرنسـا والمسـجد مـن الداخـل مزيَّـن بالرخـام.

* * *

أكبر متحف للقرآن الكريم في العالم

لا ينبغي أن تترك سومطرة دون أن تزور متحف القرآن الأكبر في مدينة باليمانج جنوب سومطرة، وهو المتحف الأول من نوعه في العالم، وستجد فيه نسخة من القرآن الكريم منقوشة على ألواح خشبية على الطراز التقليدي لباليمانج طول كل صفحة منه ١٧٧ سم وعرضها ١٤٠ سم.

ويصبح هذا المكان أكثر شعبية في شهر رمضان رغبة من الصائمين بذل قصارى جهدهم للاقتراب من الله بالذهاب داخل الكتاب المقدس ؛ لأنك تستطيع الدخول في الصفحات عن طريق تدويرها حيث يتمكن الجميع من قراءتها.

قام بهذا المشروع فنان الخط الإندونيسي «صفوة الله موهزايب» واستغرق حوالي ٩ سنوات لإتمامه، بتكلفة حوالي ٢ مليار روبية.

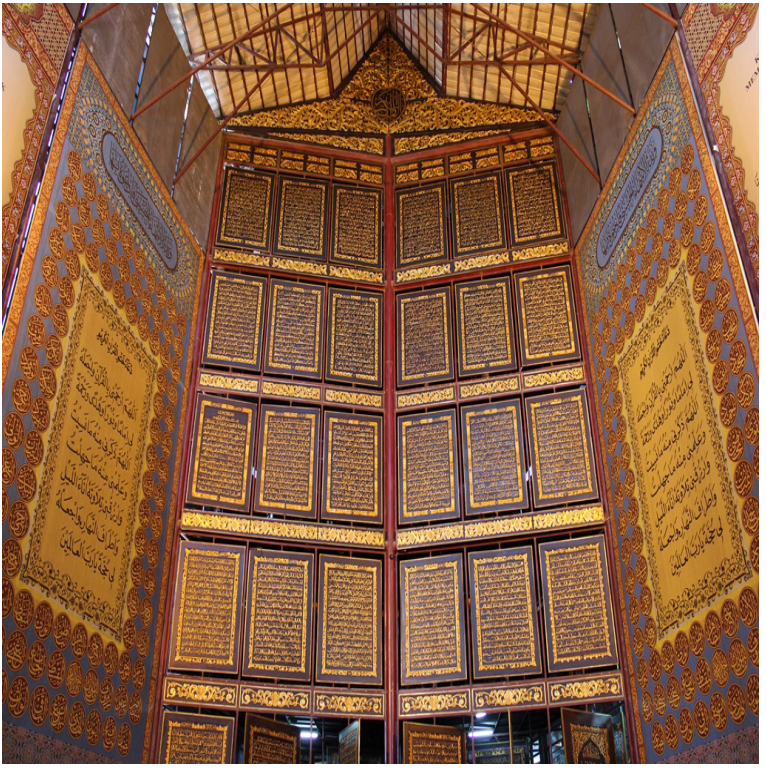

متحف القرآن الكريم

****

مازلت في جاكرتا، بيد أنَّ الشيء الغريب في الموضوع أنني لم أكن أتخيل أن أمضي كل هذا الوقت هنا.

لقد تأخرت كثيرًا، يبدو أنَّ جاكرتا وضواحيها سحرتني، وشغلت بالي، لدرجة أنّي نسيت الذهاب إلى «بالي».

لقد وقعت في حبِّ هذه المدينة الساحرة، بالمتعة التي أحسُّها وأنا أسير في شوارعها، بالجمال الذي يحيط بها، بالروح والإلهام ونمط الحياة السريع، هناك شيء بها أستطيع أن أصفه بـ «الهالة» يحيطها، وأكاد أراه بعيني.

الأشخاص الذين ألتقيهم صدفة أو عبر الأصدقاء، وهم يحاولون أن يشاركوني رحلتي لأحظى بوقت سعيد.

كل هذه الأشياء تجعلني متحمسة جدًا وأفكر دائمًا في كل شيء رأيته أو حدث معي بشكل إيجابي، وأقول لنفسي إنني سوف أعود مرة أخرى.

من قال إن جاكرتا تفتقد سحر إندونيسيا؟

أعتقد أن هؤلاء الناس لم يزوروا الأماكن المناسبة لاكتشافها.

وفي طريق عودتي إلى المطار سألني يوسف: هل ستعودين مرة أخرى للذهاب إلى « بالي»؟

قلت له: نعم سأفعل قريبًا، ولكن سأمرُّ أولًا على جاكرتا قبل الذهاب إلى «بالي».

* * *

الفصل الثاني
الفلبين

(١)
مانيلا

سافرتُ إلى مانيلا عبر الخطوط الجوية العمانية، وفي الطائرة من عُمَان إلى مانيلا، رأيت شابًا يجلس قرب النافذة بجواري، خمَّنتُ من خلال ملامحه أنه فلبيني، وكنت أجلس على المقعد المجاور، طلبت منه بذوق ولطف أن نتبادل الأماكن، وأجلس أنا بجوار النافذة؟

قال: "لا!"

قالها ببساطة جافة، هكذا بلا تردد.

صدمني، لا أعرف لماذا، هل لأنِّي كنت أحمل بداخلي تلك الفكرة عن شهامة «الجنتل مان»، كما نختبرها نحن النساء في بلادنا، وأنه لن يرفض أن أجلس بجوار النافذة.

كان صامتًا، ٩ ساعات هي مدة الرحلة، لم يقل أيّ كلمة، وعقلي كالآلة تنتج صورًا تلو الصور من ذكريات رحلاتي السابقة، لطالما جلس بجواري أشخاصُ متطفلون، لذا كنتُ أحرص على أن أحمل معي كتابًا أو اثنين حتى أتظاهر بالانشغال طوال الوقت، لأقطع فرص الحديث المتطفل، والثرثرة.

لماذا أنا متضايقة الآن؟

عجبًا لأمري.

هذه المرة أشعر باختلاف عن سابقتها، الوضع على متن الطائرة غريب؛ أغلب رُكاب الطائرة فلبينيون، وبعض العرب اكتفوا بالنوم أغلب الوقت، لا وجود لأصوات مزعجة، لا أحد يتحدث، يا إلهي حتى الأطفال هادئين جدًا...

معقول!

"الشعب الفلبيني ليس ثرثارًا أو مزعجًا "

هـذه ملاحظتـي البكـر، وأنـا معلقـة في السـماء، لم تتنفـس أنفـي روائـح البـلاد بعد .

قـد تبـدو هـذه بدايـة مبـشرة، رحـت أدوِّن ملاحظـاتي في دفـتر صغـير حملتـه معـي... وصلـت أخـيرًا مطـار مانيـلا

نينوي أكينو Ninoy Aquino

مطـار كبـير جـدًا، ومزدحـم بالوجـوه، أغلـب الرحـلات الدوليـة تصـل إلى مبنـى "الـركاب ١"، أمَّـا مبنـى "الـركاب ٢" فيخـدم فقـط الخطـوط الجويـة الفلبينيـة، لم تسـتغرق الإجـراءات المملَّـة الروتينيـة وقتًـا، ختـم الجـوازات، ووصـول الحقائـب، فقـط عـدة دقائـق.

خرجـتُ مـن المطـار، أخـيرًا، كانـت السـاعة الثانيـة عـشر ليـلًا (السادسـة مسـاء بتوقيـت القاهـرة بفـارق ٦ سـاعات)، الجـو حـار، عـلى الرغـم مـن أننـا كنـا في شـهر فبرايـر، وهـو مـن الشـهور المناسـبة للسـفر حيـث مـن المفـترض أن تكـون درجـة الحـرارة معتدلـة.

يوجـد العديـد مـن وسـائل المواصـلات أمـام المطـار، التاكـسي العـادي والليموزيـن والحافـلات التـي تخـدم جميـع صـالات الوصـول، وكنـت أعـرف مسـبقًا أن أفضـل وسـيلة مواصـلات هـو «جـراب»، والـذي يشـبه «أوبـر»، لأنـه لا يوجـد أوبـر في الفلبـين.

شـخصيًا، فكـرت أن أطلـب «جـراب»، وخصوصًـا أنَّ التطبيـق محمَّـل عـلى هاتفـي، ولكـن لم أجـد سـيارة مُتاحـة، واسـتنتجت أنـه بسـبب العـدد الكبـير مـن الفتيـان والفتيـات الذيـن يقفـون أمـام صالـة الوصـول، محمَّلـين بالـورود والبالونـات، ويبـدو وكأن الجميـع قـد أتـوا لاسـتقبال الشـخص نفسـه.

وحاولـتُ أن أحجـز أيَّ وسـيلة أخـرى متاحـة، لم أتمكـن مـن رؤيـة مكاتـب اسـتئجار السـيارات بسـبب التكـدُّس، وقفـتُ عـلى الرصيـف المقابـل لصالـة الوصـول، حتـى ابتعـد قليـلًا عـن الزحـام، وسـألتُ أحـد الماريـن عـن مكاتـب اسـتئجار السـيارات أو تاكـسي، فأشـار إلى مـكان مـا، تركـت حقائبـي وذهبـت إليـه، مكتـب صغـير مـن بـين سلسـلة مكاتـب متجـاورة، عـلى أحـد الأرصفـة بـدون كشـك، ولكنهـم أخـبروني أنـه ليـس مـن السـهل الآن العثـور عـلى سـيارة أو حتـى تاكـسي، لأن مطـرب كـوري عـلى وشـك الوصـول، وبسـبب الازدحام الشـديد

لم تتمكَّن السيَّارات من القدوم، وأخبروني أنَّ عليَّ أن أنتظر حتى يأتي المطرب الكوري، وينصرف، وبعدها سوف تعود حركة سير السيارات..

متى يصل المطرب؟

أجابتني إحدى العاملات: "لا نعرف بالتحديد لكنه سيصل اليوم"، وطلبت مني أن أقف في الصف حتى أحجز دورًا لي.

لم أستطع أن أرى نهاية الصف بسبب التزاحم، ويبدو أنَّ الطابور طويل، وكنت مرهقة جدًا بعد رحلة شاقَّة، وكنت أتمنَّى أن أغلق عيني، وأفتحها، وأجد نفسي مستلقية في سريري، وأذهب في نوم عميق..

بعد مرور حوالي ساعة، وجدتُ سيارة ليموزين ينزل منها أحد المسافرين، فذهبت مسرعة إلى السائق دون حجز دور أو غيره، وطلبتُ منه أن يقلّني إلى الفندق، والذي كان يبعد ٩ كيلو مترات، حوالي ٢٠ دقيقة عن المطار.

قال لي بالإنجليزية،وهو في عجلة من أمره بسبب الازدحام : سآخذ ١٥٠٠ بيسو .

وكنت أعلم أن الأجرة من المطار للفندق لن تتجاوز ٦٠٠ بيسو.

ثم بدأ في حمل حقائبي قبل أن أجيبه، ثم قال بثقة مشوبة بفرح خفي : لن تجدي سيارات الآن، وإذا وجدتِ فسوف تنتظرين دورك لمدة طويلة.

لم يكن أمامي سوى أن أوافق حتى أخرج من هنا.

شوارع مانيلا ذكرتني بشوارع القاهرة، للوهلة الأولى شعرتُ أني في مصر، الشوارع، الأتوبيسات، والإعلانات المطبوعة عليها، الموتوسيكلات، الباعة في إشارات المرور، حتي الإزدحام.. هل هي كذلك فعلًا، أم أنَّ عقلي لايزال يعيش في القاهرة؟

زحام رهيب في منتصف الليل.

سألت السائق: هل مانيلا مزدحمة هكذا دائمًا؟

أجاب بلا، ولكن اليوم هو السبت والأحد عطلة في الفلبين، ولذلك فإن أغلب الناس تقضي مساء السبت في الخارج.

كنت أستمع إليه وأنا أشاهد سيارات التاكسي الصفراء الزاهية، والأوتوبيسات الكبيرة، والسيارات الجيب العملاقة، عرفت بعد ذلك أنهم

يستخدمون السيارات الجيب كسيارات للأجرة، ويطلقون عليها «ميني جيب"، أو "جيبني jeepney» (هي وسيلة مواصلات هامة في الفلبين، وظهرت للمرة الأولى في الخمسينيات، بعد وقت قصير من بدء الجيش الأمريكي في الانسحاب بأعداد كبيرة، بعدما تركت الحرب العالمية الثانية شبكات النقل العام هنا في حالة خراب، وترك الجيش الأمريكي وراءه مئات من سيارات الجيب القديمة «ويليز و فورد» التي لم يعد لها أي فائدة.

أخذ الفلبينيون سيارات الجيب العسكرية القديمة هذه، وقاموا بتمديدها على بُعد مترين وصفحوها بالأسطح المعدنية، ولونوها بالألوان الزاهية والزخارف، واستخدموها كوسيلة مواصلات لنقل الركاب، ثم تطور الأمر بعد ذلك وأصبحت تصنع سيارات الجيب في الفلبين)، والدرجات البخارية، والبنايات الشاهقة الارتفاع، والترايسكل Tricycle وهي دراجة ثلاثية نارية تعمل بالوقود أو بالدفع كالدراجات الهوائية، وهي منتشرة في كل مكان.

وصلتُ أمام الفندق واسمه « برينس بلازا « ويقع بمنطقة ماكاتي، وخيالي يرسم سريرًا ناعمًا، ومريحًا، في جو مكيّف.

أخيرًا سأنام!.

عندما أعطيت السائق الأجرة المتفق عليها بادر بقول كلمة «سلامات»، وأعتقدت أنه يقصد أن يقول «مع السلامة» أو»سلام»، بالعربية و أخطأ نطقها، لكن عرفت لاحقا أن كلمة «سلامات» تعني «شكرًا». وكانت أول كلمة أسمعها بالفلبينية.

كانت غرفتي في الطابق الـ٢٢، وكان عدد طوابق الفندق ٢٥ طابقًا، وهذا ليس مستغربًا على الفلبين التي تُعدُّ موطنًا للعديد من ناطحات السحاب الجميلة التي يتجاوز ارتفاعها ٢٥٠ مترًا.

كانت الغرفه كبيرة وجيدة، وقد لاحظت في الغرفة وجود مطبخ،وكأنها ستوديو عدا أنه ليست به صاله وعرفت لاحقا أن سبب وجود المطبخ الصغير الملحق بالغرفه هو لأن السُياح العرب يفضلون طهي أطعمتهم بأنفسهم خوفاً من أن يأكلوا شيء بالخارجج يحتوى علي لحم الخنزير او مشتقاته.

تطل غرفتي على منطقة الحزام الأخضر Green belt ويبدو من اسمها أنها حديقة فهل هي كذلك؟.

لم أستطع النوم سوى ساعات قليلة، وفي السابعة صباحًا قررت أن أذهب في جولة سيرًا على الأقدام لأتفقَّد المكان.

بالطابق الأول بالفندق يوجد مكتبًا للصرافة، ويوجد أيضًا مطعمًا للبيتزاً وسفن إليفن الذي يشبه إلى حد كبير On The Run وهو يعمل أيضًا على مدار ٢٤ ساعة، وتستطيع أن تجد فيه كل شيء وأي شيء بدءًا من المأكولات الخفيفة والمشروبات المتنوعة إلى الماكياج وكروت الموبايل.

وذهبت ناحية منطقة الحزام الأخضر، وإتضح أنها ليست حديقة كما يوحي إسمها، بل هي مركزا تجاريا كبيراً جزءا منه في الهواء الطلق.

ولاحظتُ وجود عدد كبير من المولات في المنطقة متجاورين، ولاحظتُ أيضًا أنَّ أغلب المولات القريبة من بعضها متصلين بكباري ليتم ضمهم لبعضهم البعض ويسهل التنقل من مول لأخر ببساطة دون الحاجة للخروج من أحدها، والسير في الأجواء الحارة أو الماطرة، ويبدو أن الشعب الفلبَيني يحبّ التسوق كثيرًا، إذ يقضون أغلب أوقاتهم في المولات.

ولاحظت أيضًا انتشار محلات الأكل السريع مثل: "ماكدونالدز" و"بيتزاهت"، و"جاليبي"، و"دانكين دونتس" وغيرهم.

يتحدث الناس هنا اللغة التاجالوجية كلغة أولى إلى جانب الذين يتحدثون الانجليزية كجزء من نمط الحياة المتعدد الثقافات، وهي أول مفاجأة إيجابية في الفلبين.

وبعد ساعتين من التمشية والتعرف علي المنطقة شعرت بالجوع فأنا لم أتناول الطعام منذ أن كنت بالطائرة وعدت الفندق لتناول الإفطار، وسألت موظف الاستقبال عن المطعم وأخبرني أنه بالطابق الأخير، انتظرت المصعد، وصعت به إلى الطابق الـ ٢٤ لأجد مطعمًا صغيرًا لكنه كان مرتبًا، سألني النادل عن رقم الغرفة ثم أشار إلى إحدى الطاولات الفارغة، كان الإفطار "أوبن بوفيه"، ويتكون من الأسماك المجففة، والنودلز، والأرز، والبيض المخفوق، وبعض أنواع الحلوى، والفواكه.

أخذتُ بعضًا من فاكهة "البابايا"، والقهوة، وجلست على إحدى الطاولات، كانت تجلس بالطاولة المجاورة لي سيدتان فلبينيتان، كانتا تبتسمان لي، ثم اقتربتا منِّي، وعرضتا عليَّ بعض الحلوى.

قالتا لي :" إنها لذيذة"، ثمَّ عرفتاني بأنفسهما، السيدة الأولى تُدعى إيفرينيلين، والأخرى لين، أخبرتاني أنهما تعملان بشركة Pioneer insurance، عرفتُ منهما أنهما من مدينة «سيبو»، وأنهما في مانيلا لحضور مؤتمر للشركة.

كانت المرة الأولى التي ركزت فيها بوضوح على هيئة المرأة الفلبينية، ولعل أهم ما لفت نظري إليهم هي ملامحهم التي تبدو ناعمة، ذو شعر أسود ناعم، وأنفا صغيراً، وهن لسن طوال القامة، ولسن ممتلئات الجسم.

لديهن دم صيني أسباني، وشيء من الصينية، وبعض السمات الأفريقية والأوربية، وكنَّ يرتدين ملابس أوربية عصرية.

كنَّ ودودات للغاية، وسألاني عن خطتي اليوم، وقبل أن أجيب أخبروني أن اليوم عطلة في الفلبين بمناسبة (رأس السنة الصينية)، وهما ينويان الذهاب إلى "المدينة الصينية" بعد الإفطار للاستمتاع بعروض رأس السنة، ومشاهدة رقصات التنين، والألعاب النارية، ثمَّ تناول الغذاء، وعرضتا عليّ مرافقتهن.

وشعرت أنه من السهل تكوين صدقات في الفلبين، فهم ودودين للغاية، مما يسهل علي الغريب الشعور بالألفة والراحه معهم، لذلك وافقتُ على الفور.

قرّرنا أن نذهب بـ»جراب» لأنها أفضل وسيلة للتجوُّل في مانيلا، ربما ليست الأرخص حسبما قالوا لكنها الأكثر أمانًا، أكثر من سيارات التاكسي.

وفي الطريق للمدينة عرفت منهم أن رئيس الجمهورية «رودريغو دوترتي» قد أعلن اليوم (٥ فبراير) عطلة رسمية كدليل على تضامن الفلبين مع الصينيين، حيث كانوا جزءًا من حياتهم في العديد من النواحي، بلدًا وشعبًا.

والمعروف أنَّ الثقافة الصينية لها دور كبير في الفلبين، ولها أيضًا إرث ثقافي عميق الجذور، وكان الصينيون القدماء متعايشين، ومسالمين مع الفلبينين لقرون حتى قبل وصول الأسبان عام ١٥٢١م، حتى إنَّ الفلبينيين يحرصون دائمًا على تناول الطعام الصيني واستشارة خبراء الفينغ شوي، وقراءة أبراجهم الصينية.

المدينة الصينية

على الرغم من أنني في الفلبين إلا أنني أقف في أقدم حي صيني في العالم، ازدحام شديد، يبدو أننا لسنا الوحيدين اللواتي قررن أن يحضرن

الاحتفـال، ولكـن رغـم الازدحـام إلا أن النـاس تسـير بهـدوء.

وأول شيء لفـت نظـري في المدينـة الصينيـة هـو اللافتـات الحمـراء المعلقـة في كل مـكان ومكتـوب عليهـا بالإنجليزيـة (مرحبًـا بكـم في المدينـة الصينيـة) وأيضـا لافتـات مكتـوب عليهـا الصينيـة ! Kung Hei Fat Choi وإسـتنجت أنهـا تعنـي «سـنه جديـدة سـعيدة» وبعدهـم كلمـة «بينونـدو Binondo»وهنـا سـألت صديقـاتي مـا معنـي بينونـدو؟ وأخبرتـاني أن اسـم بينونـدو يطلـق عـلي الحـيِّ الصينـي في مانيـلا، وهـي مشـتقة مـن الكلمـة التاغالوجيـة «بينونـدوك»، والتـي تعنـي «الجبـال» نظـرًا لوجودهـا عـلى المناظـر الطبيعيـة الجبليـة.

وهـذا الحـيِّ أسَّسـه الحاكـم الأسـباني لويـس بيريـز داسـمارياس في عـام ١٥٩٤م وكان الموقـع في الأصـل مسـتوطنة للمهاجريـن الصينـين، وخاصـة تجـار الحريـر الذيـن اسـتقروا، ووجـدوا حيـاة جديـدة في مانيـلا، ومـع قدومهـم قامـوا بنـشر ثقافتهـم الجديـدة بـين الشـعب الفلبينـي، وبـدأو يعملـون، ومـع الوقـت أصبحـوا ناجحـين جـدًا، واسـتقروا في بيندنـدو، وكانـوا يعتـزُّون بتراثهـم الثقـافي، فقامـوا ببنـاء منازلهـم عـلي الطـراز الصينـي حتـى يشـعروا أنَّهـم مازالـوا في الوطـن، وبالإضافـة إلى ذلـك قامـوا بإنشـاء المـدارس الصينيـة، والمؤسسـات التعليمـة ومـازال إرثهـم الثقـافي وعاداتهـم موجـودة حتـى الآن بـل امتـزج أيضًـا مـع الثقافـة الفلبينيـة.

وأصبحت بينوندو المركز الاقتصادي والثقافي للجالية الصينية في الفلبين، وبالتالي فإنَّ أفضل مكان للاحتفال برأس السنة الصينية الجديدة هو « بينوندو».

Kung Hei Fat Choi!

بالنسبة للصينيين، يعد العام الجديد للتقويم القمري هو الأهم، وهو على عكس العام الجديد الذي يتبع التقويم الغويغوري والذي يبدأ في يناير، والسنة الصينية ليس لها تاريخ محدد، فعلي سبيل المثال، في عام ٢٠١٨ احتفل الصينيون بالعام الجديد يوم ١٦ فبراير، والعام القادم ٢٠٢٠ سوف يكون يوم ٢٥ يناير.

قد تتغير تواريخ السنة الصينية الجديدة لكن عناصر المهرجان، والاحتفالات من خلال الألعاب النارية ورقصات التنين، وغيرها لا تتغير.

مشينا في شارع أونجبين، أهم شارع في بينوندو، ويبلغ طوله كيلو متر واحد، ويعود تاريخه إلى عام ١٨٩٠م، وسُمِّي على اسم دون رومان أونجبين، وهو رجل أعمال، واكتسب شهرته من خلال دعمه المالي لمتمردي « كاتيبونيرو» خلال الانتفاضة الناجحة عام ١٨٩٦ ضد إسبانيا.

تصطف على جانبي الطريق محال متعددة البضائع التي زُيِّنت بشرائط حمراء، وعلى طول الطريق تجد تماثيل متعددة لـ«بوذا» والحيوانات المقدسة (حيوانات الأبراج الصينية)، وبعض المخلوقات الأسطورية مثل طائر الفينيق والتنين.

كانت رقصات التنين قد بدأت، حاولنا شقَّ طريقنا عبر الحشود الكثيفة لرؤية رقصات التنين عن قرب، تبدو حركاتهم مُنسَّقة، ومنظمة، بفضل الأشخاص الذين بداخله. الألعاب النارية تخلق ألوانًا مبهجة، والتنين مازال يرقص ويتمايل.

وبعد مشاهدة عرض رقصات التنين، وأثناء سيرنا مررنا من أمام كنيسة بينوندو الشهيرة، وهي واحدة من أقدم الكنائس الكاثوليكية الرومانية في مانيلا، تأسَّست من قبل القساوسة الدومينيكان عام ١٥٩٦ لخدمة المتحولين الصينين إلى الكاثوليكية.

وعرفت أن الكنيسة ليست المبني الأصلي في هذا المكان، فقد تضررت ودُمِّرت بشدة ثلاث مرات خلال الحرب العالمية الثانية آخرها في سبتمبر ١٩٤٤ ولحقت الكنيسة أيضًا أضرار كبيرة جراء قصف القوات الجوية الأمريكية لها، ولم ينج من

القصف سوى الجدران الحجرية والواجهة الغربية وبرج الجرس.

وتم ترميم الكنيسة للمرة الثالثة عام ١٩٨٤.

دخلنا الكنيسة وأذهلتني المعالم البارزة، الهندسة المعمارية الكلاسيكية، اللوحات الجدارية المعلقة على السقف، المذبح الضخم المزيَّن بشكل جميل، الشرفات التي تجعل المكان مشهدًا رائعًا لمناسبات لا تُنسَى.

ويقال إنه في عام ١٨٩٣ أو ١٨٩٤ تزوج أندريس بونيفاسيو (القائد الثوري الفلبيني والذي يشار إليه باسم أب الثورة الفلبينية) من جريجوريا دي خيسوس في كنيسة بينوندو.

وليست الكنائس هي أماكن العبادة وحدها في الحي الصيني، فهناك أيضًا معبدين بوذيين، هما معبد «سينغ غوان»، ومعبد «كوانغ كونغ»، ومعبد سينغ غوان هو أكبر معبد بوذي في الحي الصيني وواحد من أجمل المعابد البوذية في الفلبين، ويطلق عليه أيضا « معبد العشرة آلاف بوذا» ولديه هندسة معمارية مذهلة وبه العديد من غرف الصلاة ودائمًا ما يذهب إليه الناس لحرق البخور، وتقديم القرابين كالفواكه والطعام، وسمي المعبد علي إسم الراهب سينغ غوان للإحتفال بذكراه و يقال أنه عاش حياته مسترشداً بمبادئ السلام والوئام، وكذلك الرغبة في نشر دينه في جميع أنحاء الفلبين.

أما معبد " كوانغ كونغ « فهو الأكثر شعبية هناك حيث يذهب الناس للحصول على إجابات على أسئلتهم، والإجابات تكون بسيطة جدًا، وشرح لي الكاهن طقوسها وهي كالآتي:

قم بتحديد السؤال، أسئلة تكون الإجابة عليها ب» نعم « أم « لا»، مثل: هل سأنجح في عملي؟

ثمَّ خذ القرصين الخشبيين اللذين على شكل قمر، وأسقطهما على الأرض، إذا واجه النصفان بعضهما البعض فإنك سوف تحصل على رغبتك، أما إذا ابتعد القرصان عن بعضهما البعض فهذا يعني أنّ الإجابة « لا»، لكنك يمكنك الصلاة مرة أخرى وتكرار الطقوس ثانية.

وعرفت أن اسم المعبد مأخوذ من اسم إله صيني يُعرف باسم "إله الحرب" وحامي تشيوان يين (إلهة الرحمة).

وعـلى الرغـم مـن أن اسـمه إلـه الحـرب إلا أنـه يمثـل العدالـة والتـوازن ويحمـي الطيبـين مـن الأذى والمخاطـر.

كلنا جائعون!

كنَّـا قـد بدأنـا نشـعر بالجـوع السـاعة الآن الثالثـة، وهـو وقـت الغـداء لـذا قرَّرنـا أن نتنـاول الغـداء في أقـرب مطعـم نجـده، وعـلى شـمالنا، وجدنـا مطعـم اسـمه «مسـتر أوبي».Mr.Ube

وهـو مطعـم صينـي، متواضـع يقـدم مجموعـة متنوعـة مـن المأكـولات، وأنـا أعـرف عـن الأكل الصينـي مـن المطاعـم الموجـودة في القاهـرة، وأحبهـا، ولكـن الأكل الصينـي عنـد مسـتر "أوبي" مختلـف تمامًـا عـن أي شيء عرفتـه أو تذوَّقتـه مـن قبـل، لذلـك فالاختيـار كان صعبًـا جـدًا، أسـماء أغلـب الأطبـاق غريبـة، ولم أفهـم شـيئًا مـن قائمـة الطعـام سـوى طبـق واحـد «سـمك فيليـة سـويت أنـد سـاور»، وعـرض عـلى صديقـاتي أن نختـار ثلاثـة أطبـاق مختلفـة حتـى يمكننـي أن أجـرب أصنافًـا مختلفـة مـن الطعـام.

كنـت جائعـة جـدًا، لم أتنـاول شـيئًا سـوى الفاكهـة منـذ الصبـاح، وكنـت عـلى اسـتعداد لتنـاول أي شيء، وكانـت فكـرة اختيـار أطعمـة مختلفـة فكـرة جميلـة.

اختارتا طبقين آخرين، واحدًا من الدجاج، والآخر لحمًا وحساءً شكله غريب ولونه أيضًا غريب!

ولأننا في مطعم صيني فإن كل الأصناف تأتي مع النودلز، وبجانب كل طبق كورة صغيرة ذهبية اللون، ومغطاة بالسمسم.

لقد تغير إحساسي بعد أن تذوقت كل الأطباق، السمك ليس لذيذًا، طعمه غريب، والأطباق الأخرى التي اختاروها كانت غريبة عليَّ، لم أر أيًا من هذه الاطباق في أي مطعم صيني من قبل أيضًا.

قلت لنفسي: "يبدو أن هذا مطعم صيني على أصوله، وأنَّ ما أكلته في مصر كان مُعدَّلا".

لم أستطع أن آكل شيئًا، رَغم أني كنتُ جائعة جدًا.

طلبوا مني أن أتذوَّق "الكورة الذهبية" الصغيرة جدًا، وقالوا إنَّها ستعجبني، وسألتُ عن اسمها، وأخبروني أنَّ اسمها "كُرات السمسم" أو " sesame - Buchi ball" وأنَّها حلوى مُصنَّعة خصيصًا لمناسبة رأس السنة الصينية، وأنَّها شهية.

قضمتُ قطعة صغيرة جدًّا جدًّا، وأنا خائفة أن يكون طعمها سيئًا مثل بقية الطعام، ولكن فاجأني مذاقها الحلو، لم تكن مثل أيّ قطعة حلوى تذوقتها من قبل، عجينة مقلية، هشة، ومطاطية، مصنوعة من دقيق الأرز اللزج (نوع من الأرز الآسيوي غني بالنشويات، يتحول شكله للزوجة وقت الطهي) يتناولها الناس على مدار العام، ولكنها تُقدَّم بكثرة في الاحتفالات.

ويعتقد الصينيون « أنَّه إذا كنتَ تأكل كرات السمسم، فإنَّ ثرواتك ستتوسع بشكل مشابه»، وأكلتُها الثلاثة من شدة جوعي، ولمحت على وجوه صديقاتي أمارات الالتذاذ بما أكلوا، والإشباع والرضا مما شبعوا.

بعد الغداء ذهبنا أنا وصديقاتي لشراء بعض الهدايا التذكارية، ولفت نظري في كلِّ المحال التي دخلتُها وجود ظروف صغيرة حمراء، سألتُ البائعة عنها، فأشارت بأناملها ناحية الأظرف، وقالت : "اسمها آنج باو «.Ang pao

ثـم أخبرتنـي أنهـا تقليـد في الاحتفـال، حيـث تُوضَـع الأمـوال في ظـرف أحمـر اللـون (يرمـز اللـون الأحمـر إلى الحـظ السـعيد) بأرقـام زوجيـة لأنَّ الأرقـام الفرديـة تُمنـح في الجنـازات فقـط، وتُعطـى هـذه الأظـرف للأطفـال في السـنة الصينيـة لإبعـاد الأرواح الشريـرة عـن الأطفـال، وضـمان سـنة آمنـة لهـم.

ولا تقتـصر الأظـرف الحمـراء عـلى السـنة الصينيـة فقـط بـل تُهـدى أيضًـا في المناسـبات الاجتماعيـة مثـل حفـلات الزفـاف والأعيـاد والعطـلات.

لفـت نظـري أيضًـا باعـة الفاكهـة وهـم يزيِّنـوا كلَّ قطعـة عـلى حـدة بشريـط حريـري باللـون الأحمـر، وعرفـتُ منهـم أن سـلَّة مـن الفواكـه هـي جـزء مهـم في التقاليـد الصينيـة ؛ لأنهـا تتنبـأ بـكلِّ الأشـياء الجيِّـدة مـن السـماء، كالبرتقـال الصغـير الـذي يرمـز للـثروة، والكمـثري التـي تمثـل الحيـاة السلسـة البسـيطة الخاليـة مـن التعقيـد، ولايجـب أن تخلـو أي سـلة مـن الأناناس لأنـه يمثـل الحـظ السـعيد، ويطلقـون عليـه بالصينيـة ong lai الـذي يعنـي حرفيًـا "الرخـاء قـادم"، ويُعتقـد أنـه كلَّـما زادت حبـات الأنانـاس كلـما حصلـت عـلى سـنة مزدهـرة.

ومن الطقوس أيضًا شراء التمائم الجالبة للحظ كالأساور والخواتم وغيرها..

ومن الطريف أنني ابتعتُ إحدى الأساور الجالبة للحظ كنوع من التذكار وارتديتها مباشرة، وبعد دقائق قُطعت!

نظرت إلى صديقاتي، كنَّ باسمات الوجه.

فقالت إيفرينيلين مازحة" !"It's Chinese my dear

وخرجت من الحيِّ الصيني وأنا سعيدة، وسألتُ "لين" قبل أن أذهب إلى غرفتي: هل تعتقدين أنَّ عامي سيكون جيدًا بعد قطع السوار؟

لم تجبني، فقط أهدتني سوارًا آخر، كانت قد ابتاعته لي بديلًا عن سواري الذي قطع، مردَّدة لقد تأكدتُ من أنه متين هذه المرَّة.

وبعد استراحة قصيرة قضيتها في المساء بـ»خليج مانيلا» للاستمتاع بمشاهدة

غروب الشمس، هناك على شاطئ البحر يوجد صفًا من المطاعم، والكافيهات المفتوحة التي تطلُّ على "خليج مانيلا".

جلسنا في مقهى مطلٌّ على شاطئ البحر، وكنت بحاجة لكوب من القهوة، طلبتُ إسبرسو، ويبدو أن طلبي لم يلقَ استحسان النادل، فنظر لي نظرة غريبة، وأشار إلى "ستاربكس" الذي كان يبعد محلين عن مكاننا، وقال هناك يقدمون قهوة.

يبدو أنَّ الكافيهات في هذا المكان متخصِّصة نوعًا ما، والمكان الذي جلسنا فيه يقدِّم المشروبات الكحولية فقط.

* * *

(٢)
مانيلا التاريخية

إنترامورس

في اليوم التالي اقترحتُ على صديقاتي الذهاب إلى «إنترامورس»، وأخبروني أنهم لم يزوروها من قبل، وأنهم لا يعرفون مكانه بالتحديد.

وبرَّرُوا عدم زيارتهم من قبل بأنهم من مدينة "سيبو"، وأنهم عندما يأتون إلى مانيلا يكون جدولهم مشحون بالأشياء التي يجب أن يفعلوها، ولا يجدون وقتًا كافيًا للذهاب إلى مكان آخر، ولولا أنهم بالصدفة في عطلة رأس السنة الصينية، وتصادف وجودي فإنهم لم يذهبوا إلى أي مكان.

لم أتعجب كثيرًا فلدي أصدقاء كثيرون في مصر أخبروني أنهم لم يزوروا الأهرمات لأنهم لم يجدوا الوقت الكافي للذهاب إليها، وأغلب الهنود الذين قابلتهم في الهند لم يروا « تاج محل « إلا من خلال الصور.

وأحد الأصدقاء الأردنيين يحسدني لأني ذهبت الي الأردن لأزور البتراء ووادي رم.

وعرضتُ عليهم أن أصطحبهم في جولة إلى " إنترامورس"، أقلَّنا جراب، في الطريق لم أتعجب من السائق، لا يعرف الطريق إلى «إنترامورس» أشهر معلم سياحي في الفلبين كلها وليس فقط في مانيلا، وطلب مني أن أحدد الوجهة بالتجديد عبر ال جي بي إس.

وصلنا أخيرًا "إنترامورس" أو مانيلا القديمة.

وفي اللحظة التي دخلت فيها مدينة "انترامورس" المسورة، شعرت بأن آلة الزمن قد أعادتني إلى الفترة الاستعمارية الإسبانية في الفلبين.

منذ تأسيس المدينة في عام ١٥٧١ حتى نهاية الحكم الإسباني في عام ١٨٩٨، كانت "إنترامورس" مركزًا للاحتلال الأسباني، وقد بنيت "إنترامورس" لتكون مقرًا لمسؤولي الحكومة الإسبانية وعائلاتهم، وكانت المكان الذي يعيش فيه أكثر مواطني مانيلا نفوذًا، في حين لم يسمح للسكان الأصليين والصينيين بالعيش داخل

"إنتراموروس"، بل كان العيش فيها حكرًا للنخبة الإسبانية.

تقع "إنترامورس" داخل جدار يبلغ ارتفاعه ستة أمتار وطوله ثلاثة كيلومترات، ولذلك يطلقون عليها «المدينة المُسوَّرة» وتغطي مساحة تبلغ نحو ١٦٠ فدانًا. وكان الدخول والخروج فقط من خلال بواباتها السبع المحصنة.

أما داخل الجدران الشاسعة فالأفضل أن تكتشفها سيرًا على الأقدام وسط جوٍّ رائع من عبق الماضي، وحتى لا تفوت أي مشهد أو مكان دون أن تراه، لكن لا يخلو الأمر من سائق "كارتة" صغيرة يجرها حصان يعكر عليك صفو اللحظة، ويطلب منك بإلحاح أن يصطحبك في جولة مقابل ١٠٠٠ بيزو لترى كل معالم المدينة، وقد يصادفك أحد المرشدين الذين يعرضون خدماتهم، وفي الحقيقة رغم إزعاجهم إلا أنهم قد يكونوا مفيدين كمرشدين سياحيين لهذا المكان، لأن غير ذلك ستكون الرحلة مجرد مشاهدة لمعالم المدينة.

اصطحبتُ مرشدًا سياحيًا لإغناء رحلتي بالمعلومات، وطلبت منه أن يص طحبنا في جولة، ولكن سيرًا على الأقدام، ووافق على الفور.

وبدأت الجولة...

أخذنا المرشد السياحي، أولًا إلى مكان يُسمَّى «كازا مانيلا»، ويوجد رسم دخول للمنزل وهو ٧٥ بيزو، وأخبرنا أن "كازا مانيلا" هو منزل للتعرف على حياة الأثرياء الذين كانوا يعيشون في المدينة خلال مطلع القرن التاسع عشر، وتم بناؤه في الثمانينيات من قبل «إيميلدا ماركوس»، وقد صمَّمته على طراز العمارة الأسبانية.

أخذنا جولة في المنزل المكوَّن من ثلاثة طوابق، والذي يحتوي علي العديد من الغرف الضخمة، والأسرة المصنوعة من خشب الأبنوس ذات الأربعة أعمدة، والمطبخ الذي يضم أواني الطهي القديمة من القرن الثامن عشر، وطاولة الطعام ذات الثمانية عشر كرسي، وهو مليئ بالزخارف والأثاث والثريات والسجاد الفارسي، وبيانو وقيثارة والأعمال الفنية.

يسمح للزائرين المشي على السجادة الحمراء، وعدم لمس المعروضات، والتصوير ممنوع داخل المنزل.

أما في الفناء فيوجد نافورة عتيقة تزين منتصفه، ومتجر لبيع الهدايا التذكارية، ومقهى ملحق بالمنزل، ويسمح بالتصوير فيهم.

وقبالة المنزل تقف كنيسة «سان أوغستين» وهي أول كنيسة بُنيت في لوزون خلال الفترة الاستعمارية الإسبانية، وأقدم كنيسة في الفلبين (عمرها أكثر من ٤٠٠ سنة) ، ما يميز هذه الكنيسة هو وجود متحف داخلها يحوي صورًا نادرة، وقديمة وتماثيل لشخصيات تاريخية فلبينية، وتذكرة زيارة المتحف ٢٠٠ بيزو.

ويوجد في الكنيسة أيضًا ضريح أول حاكم لإنترامورس «ميغيل لوبيز دي ليجازبي»، وبعض الغزاة الإسبانيين ذائعي الصيت، أمثال «مارتن دي جوتي»، و»خوان دي سالسيدو».

وعلى بُعد بضعة مباني من كنيسة «سان أوغستين» توجد «كاتدرائية مانيلا» وهي كنيسة كاثوليكية رومانية، تم بناءها خلال الفترة الاستعمارية الإسبانية، والكنيسة هي البناء الثامن في هذا المكان حيث تم بناؤها على

هـذا الموقـع بعـد تدمـير الكاتدرائيـات السـابقة بسـبب الـزلازل أو الحريـق أو الحـرب، أمـا الآن فالمبنـى مصنـوع مـن الحجـر، وقـد صمـد أمـام الـزلازل الكـبرى.

والمبنـى الآن مصمـم بهندسـة معماريـة عـلى طـراز (النهضـة الرومانيـة)، وتتميـز واجهـة المبنـى بقبـة رائعـة ونوافـذ زجاجيـة ملونـة، وجـدران تـم ترميمهـا مـن الكاتدرائيـة السـابقة التـي دمـرت عـام ١٩٤٥.

بمجـرد دخولـك إلى الكاتدرائيـة سـوف تشـعر بالفخامـة، الأرضيـات، والأعمـدة الرخاميـة، والسـقف العـالي، والأيقونـات المليئـة بالتفصيـلات، الثريـات الذهبيـة والكريسـتالية المسـتوردة مـن فرنسـا.

وأخبرنـا مرشـدنا أنَّ السُـياح يحبـون أن يأتـوا عـادة لزيـارة هـذه الكنيسـة، والتعـرف عـلى تاريخهـا، ويفضـل العديـد مـن الفلبينيـين إقامـة مراسـم الـزواج في هـذه الكنيسـة، لمـا تحملـه مـن تاريـخ عريـق.

وعـلى بعـد حـوالي ١٠٠ مـتر في الجـزء الخلفـي مـن الكاتدرائيـة تقـع (ميمـوراري مانيـلا ١٩٤٥)، وهـي نصـب تـذكاري قـد بُنـي لإحيـاء ذكـرى الآلاف مـن المدنيـين الذيـن تـم ذبحهـم داخـل إنترامـوروس مـن قبـل القـوات اليابانيـة خـلال معركـة مانيـلا في فبرايـر ١٩٤٥.

ويوجـد تمثـال في الحديقـة الصغـيرة ل»سـانتا إيزابيـل» التـي كانـت ترعـى الجرحـى خـلال معركـة "انترامـوروس".

وعـلى بعـد خطـوات مـن ميمـوراي مانيـلا شـاهدنا «بالاسـيو ديـل جوبيرنادور» أو (قـصر الحاكـم) وهـو مبنـى حكومـي داخـل إنترامـورس يقـع عـلى الجانـب الآخـر مـن "بـلازا دي رومـا"، وكان المقـرَّ الرسـمي لمكتـب القيـادة العامـة الإسـبانية، ومكتبـة في الفـترة الاسـتعمارية، أمـا اليـوم فيضـم العديـد مـن المكاتـب الحكوميـة، وإدارة إنترامـورس.

وعـلى بُعـد أمتـار قليلـة مـن «كاتدرائيـة مانيـلا» و»بالاسـيو ديـل جوبيرنـادور» توجـد قلعـة «سـانتياغو»، ورسـم دخولهـا أيضًـا ٧٥ بيـزو، وهـي قلعـة بناهـا القائـد الإسـباني «ميغيـل لوبيـز دي ليجـازبي» في القـرن السـادس عـشر كحصـن دفاعـي داخـل أسـوار المدينـه، لتكـون قلعـة للدفـاع عـن المدينـة، وأخبرنـا المرشـد أنهـا واحـدة مـن أهـمِّ المواقـع التاريخيـة في مانيـلا، وضاعـت العديـد مـن الأرواح في سـجونها خـلال الفـترة الاسـتعمارية والحـرب العالميـة الثانيـة، وعـلى رأسـهم

البطـل القومـي «خوسـية ريـزال».

وهنـا اسـتوقفته، فقـد سـمعتُ اسـم «خوسـيه ريـزال» كثـيرًا. وكثـيرًا مـا يرافـق اسـمه عبـارة البطـل القومـي؟ وهنـا أخـبرني مرشـدنا أن خوسـيه ريـزال هـو واحـد مـن الرمـوز الوطنيـة، في الفلبـين، هـو الـذي قـاد البـلاد لبـدء ثـورة جديـدة ضـد الحكومـة الإسـبانية للوصـول إلى الحريـة، واسـتعادة البـلاد، وأنه كان طبيبًـا ورسَّـامًا، كاتبًـا وروائيًـا، ألَّـف العديـد مـن الروايـات، منهـا « لا تلمسـني» و «المخـرب»، وكان يتعـرض فيهـم الى المسـاوئ التـي يعيشـها الفلبينيـون جـراء الإسـتعمار الإسـباني، و أراد مـن خلالهـم ان يوقـظ الفلبينيـين مـن خضوعهـم لإسـبانيا و أحدثـت روايتـه الأخـيرة ضجـة كبـيرة.

وسُـجن بسـببها داخـل الحصـن حتـى إعدامـه في ٣٠ ديسـمبر عـام ١٨٩٦، وكان يبلـغ مـن العمـر ٣٥ عامـاً.

ثـار الفلبينيـين لمقتلـه واندلعـت الثـورة التـي انهـزم بسـببها الإسـبان، مـا أدى الي اسـتقلال الفلبـين عـام ١٨٩٨. واصبـح يـوم وفاتـه هـو عيـد وطنـي يطلـق عليـه اسـم يـوم ريـزال.

وبينـما كنـا نستكشـف الحصـن، أشـار لنـا المرشـد أن نلقـي نظـرة عـلى آثـار أقـدام «خوسـيه ريـزال» الموجـودة عـلى الأرض، لتحـدِّد الخطـوات النهائيـة قبـل تنفيـذ حكـم الإعـدام.

ربمـا في نهايـة تلـك الجولـه قـد تشـعرون بأنكـم بحاجـة للاسـترخاء، بعـد جولـة طويلـة داخـل مدينـة إنترامـورس، هكـذا قـال مرشـدنا، وسـألت أصدقـائي إذا كانوا يريـدون العـودة إلى الفنـدق؟ فأجـاب المرشـد لا أعنـي ذلـك.

بل سنذهب إلى حديقة «ريزال» للاسترخاء.

يبـدو أن الحديقـة قـد سُـميت عـلى اسـم «خوسـيه ريـزال"، فهـي المـكان الـذي اعـدم فيـه، والحديقـة تبعـد حـوالي ٧٥٠ مـتر عـن إنترامـوروس ويقـال أن رفـات «ريـزال» تكمـن هنـاك، ويحتـوي المنتـزة الـذي تبلـغ مسـاحته ٥٨ هكتـارا، عـلي العديـد مـن الـبرك ومناطـق التمشـية، كـما يوجـد نصـب تـذكاري لريـزال وأطـول سـارية علـم في البـلاد بطـول ١٥٠ قـدم ويحرسـها الحـراس، وملحـق بالحديقـة مـكان مخصـص للأطفـال بـه بعـض الألعـاب.

جزيرة كوريجيدور

كانت محطتي التالية في مانيلا التاريخية هي زيارة جزيرة « كوريجيدور» التي تقطع عند مدخل خليج مانيلا وهي جزء من مقاطعة كافيت، وافضل طريقة للذهاب هناك هي عن طريق شركات السياحة التي توفر الإقلال من الفندق وصولاً الي الميناء وركوب العبارة والمرشدين السياحين داخل الجزيرة، وطلبت من الفندق ان يرتب لي الحجز مع إحدي الشركات السياحية.

وفى السادسة صباحا كانت تنتظرني أمام باب الفندق السيارة التي أرسلتها شركة السياحة لتقلني الي رصيف إسبلانيد - Esplanad لأخذ العبارة.

وفى ال ٧:٣٠ صباحاً إنتقلت العبارة الكبيرة جدا التى كانت تحمل حوالي ٢٨٠ راكباً، وهي ذات طابقين، السطح العلوي والسطح السفلي.

أغلب الناس مثلى تفضل السطح العلوي للتمتع بمشاهدة أعلي، وفى خلال ساعة واحده كنا قد وصلنا الجزيرة، أخذنا السيارات المستخدمة في التنقل داخل الجزيرة وكل سيارة بها مرشداً سياحياً، وبدأت جولتنا التاريخية.

بدأنا الجولة بزيارة نفق «مالينتا» وفي الطريق إلى نفق مالينتا أخبرنا المرشد ان جزيرة كوريجيدور هي مكان تاريخي مليء بالذكريات الأليمة لأنها كانت مكاناً للحرب خلال الحرب العالمية الثانية. وأن كلمة «كوريجيدور» corregidor

تأتي من الكلمة الإسبانية corregir التي تعني تصحيح، وتقول إحدي القصص أنه بسبب النظام الأسباني كانت جميع السفن التي تدخل مانيلا مطالبة بالتوقف والتحقق من وثائقها وتصحيحها.

وكانت وقتها الجزيرة تسمي جزيرة « ديل كوريجيدور» أي جزيرة التصحيح، وهناك رواية اخري تدعي ان الجزيرة أن الجزيرة كانت تستخدم كمؤسسة إصلاحية أو سجن من قبل الأسبان وأصبحت تسمى كوريجيدور. في وقت مبكر قبل وصول الأسبان كان من المرجح أنه كان يسكنها الصيادون ولا شك أنها وفرت قاعدة للقراصنة الذين يمكنهم بسهولة شن هجوم على أي سفينة تدخل مانيلا.

أكثر الأماكن المسكونة في الفلبين

وصلنا نفق مالينتا. وذهبنا في جولة داخل النفق الذي يبلغ طول النفق ٢٥٣ متراً، وعرضه ٧,٣ متراً، وارتفاعه ٥,٥ متراً.

وهو نفق يشعر بالرهبة والمشاعر السيئة، وأخبرنا المرشد أن هذا النفق بناه المهندسون الأمريكان فى الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٣٢ كمخزن و معسكراً أساسياً للجنود الفلبينيين والأمريكان خلال الحرب العالمية الثانية وتحول في وقتا لاحقاً الي مستشفي يتسع لـ ١٠٠٠ سرير.

ثم قال: لعدة قرون شهدت الجزيرة الكثير من سفك الدماء والمعاناة، ولهذا السبب يعتقد الناس أن الجزيرة مسكونة بأكملها بأرواح الجنود الذين شهدوا لحظات مؤلمة قبل موتهم، وأن أرواحهم لم تحصل على السلام بعد، ونفق مالينتا هو أحد أكثر الأماكن المسكونة في الجزيرة لما شهده من كميات هائلة من إراقة الدماء، والكثيرين الذين لاقوا حتفهم متأثرين بجروحهم داخل النفق، وعندما واجه اليابانيون الهزيمة

* * *

نفق مالينتا

الوشيكة وبدلاً من الخضوع والاستسلام قام العديد منهم بالانتحار داخل النفق ويقال إن حوالي ٣٠٠٠ جندي لقوا حتفهم عن طريق تفجير متعمد، وهو واحد من اكثر الأماكن المسكونة في الفلبين.

وقد أبلغ العديد من زوار النفق العديد من الظواهر التي لا يمكن تفسيرها، وعن سماع أصواتا تصرخ بصوت مرتفع كما لو أنها محاصرة، وعلل البعض أن الطاقة المتبقية من الجنود المرضي الأمريكان والفلبينيين لاتزال موجودة وحتى أرواح الجنود اليابانيين.

الآن أدركت سبب الرهبة التي شعرت بها عندما دخلت المكان.

ثم توجهنا إلى « الحديقة التذكارية اليابانية» وهي بمثابة تكريم للجنود اليابانيين الذين لقوا حتفهم في جزيرة كوريجيدور أثناء الحرب العالمية الثانية، البالغ عددهم ٦٦٠٠ جندي.

تحتوي الحديقة على منطقة للصلاة (للعائلات اليابانية التي فقدت أقاربها) وأضرحة، وتمثال لبوذا(يمثل الخصوبة لأولئك الذين يرغبون بالإنجاب) بطول ١٠ أمتار، وجناح يضم صوراً وتذكارات.

ثالث نقطة توقف رئيسية في الجزيرة هي «النصب التذكاري للأبطال الفلبينيين» الذي يقع في الطرف الأخير من الجزيرة، وهو واحد من المعالم التي تكرم الجنود الفلبينيين الشجعان الذين قاتلوا من اجل سيادة البلاد، وتضم متحفاً علي مساحة ٦٠٠٠ متر، هذا المتحف صمم من قبل المهندس المعماري المشهور فرانسيسكو مانوسا وتم إفتتاحه عام ١٩٨٧ ويضم ١٤ لوحة جدارية منحوته بعناية من قبل النحات مانويل كاسال بالبرونز تصور المعارك التي خاضها الفلبينيون.

يحتوي المتحف أيضاً علي صوراً قديمة للرئيس الراحل مانويل لويس كيزون، وبعض لوحات ليدو ماريانو التي تصور المعاناة وفظائع الحرب.

ثم اتجهنا الى «متحف حرب المحيط الهادئ التذكاري» المتحف صغير وغريب بعض الشئ، وهو يحمل بقايا الحرب، رسائل، تذكارات، صور فوتوغرافية.

تحمل الطاولات المغطاة بالزجاج العديد من العناصر الصغيرة التي تم العثور

عليها في كوريجيدور بعد الحرب، وممتلكات شخصية مثل الملابس وبعض الأدوات الشخصية.

ويعرض المتحف أيضا قصة كوريجيدور والجنود الذين أقاموا فيها قبل الحرب وأثناءها، وأيضا أجزاء تاريخية حول كيفية إستعادة الفلبين لحريتها.

وبالقرب من المتحف توجد «ثكنات مايل لونج» التى بناها الأمريكان كمنشأة عسكرية ضخمة بعد أن إستولوا علي الفلبين، وأسموها ثكنات مايل لونج، على الرغم من أن المبني لا يذيد طوله عن ميل واحد.

هذه الثكنات مكونة من ثلاثة طوابق، ومقاومة للأعاصير، و تم إيواء الضباط والموظفين الأمريكان والفلبنيين المعينين في الحامية فيها، وقيل أيضا أنها كانت مقراً للجنرال دوغلاس ماك آرثر، الذي شغل منصب القائد الأعلى للحلفاء في جنوب غرب المحيط الهادئ.

ويقال أن قوات ماك آرثر التى تضم كلا من الولايات المتحدة والفلبينين، بعد إجبارها علي تسليم السيطرة على شمال الفلبينين لليابانيين فى عام ١٩٤١، وعلى مدار الأشهر القليلة التالية، كانت الجزيرة مقر للحلفاء فى المنطقة.

ورغم أن هيكل الثكنات قوياً ومقاوماً للأعاصير إلا أنه لم يصمد أمام القصف الياباني، ولقى العديد من الجنود حتفهم فى النيران خلال الهجوم، وما كان ذات يوم قلعة مهيبة تحول إلى أطلال تسكنها أرواح الجنود. ويقول أحد زوار المكان الذى زار الثكنات عام ٢٠١٠ أنه إلتقط صورة فوتغرافية للواجهة الأمامية للمبني، ولاحظ وجود شبح يقف فى الطابق الثالث فى زياً أبيضاَ.

وأثناء الجولة كنت أرى مبنى أبيض ملفتا يقف على إرتفاع عالي، عرفت أنه المنارة الإسبانية التي بنيت في عهد الإستعمار فى اعلى نقطة في الجزيرة، لتوجيه السفن. وهي واحده من أقدم المنارات التي بنيت في الفلبين.

ومن المنارة الى شعلة الحرية الأبدية التي ترمز الى الحرية التي لا تنتهي، وتحيي النضال البطولي للولايات المتحدة الأمريكية والفلبين للحفاظ على الحرية من أجل الأجيال القادمة.

كوريجيدور لم تكن فقط مدافع هاون، وذكريات أليمة وقتلي، بل كانت ذات يوم لديها مرافق ترفيهية يقضي الجنود والموظفين الأمريكان والفلبين وقت الفراغ فيها مع عائلتهم فيها.

أحد هذه المرافق هو السينما، والتي تعرف بإسم Cine Corregidor وكانوا يستمتعون بمشاهدة الأفلام فيها، ووفقا للمرشد فإن سينما كوريجيدور كانت حينها الأكثر شهرة في البلاد وكانت تعرض فيها الأفلام قبل عرضها في **المدينة.**

لكنها الآن في حالة خراب بعد أن إنهارات ولم يبقى منها سوى أجزاء من الجدران الخرسانية، والسلالم المؤدية الى الشرفة العلوية، والأرضية الخرسانية..

ورغم ذلك فإن الأجزاء المتبقية منها تشعر بالعظمة، التي كانت مستخدمة في تلك الفترة.

ثم ذهبنا بعد ذلك الى شاطئ» بلودستون» واسم الشاطئ يستدعى التساؤلات! الحصي الموجود على الشاطئ يبدو وكأن جريمة قتل قد حدث هنا.

وعرفت أنهم يطلقون على الشاطئ اسم بلودستون بسبب الحصي الذى تلطخه الدماء

وتقول الأسطورة المحلية أن هذه الحجارة ملطخة بدماء الجنود الذين قاتلوا وماتوا على شاطئ الجزيرة.

ولكن الجيولوجين كان لهم رأي أخر، فقد أوضحوا أن اللون الأحمر الموجود على الحصي هو تفاعل كيميائي تسببه مياة البحر على نوع الصخور الموجودة فى الجزيرة.

وإنتهت الجولة فى أطلال كوريجيدور التاريخية، وخرجت منها برسالة مفادها «أن الحرية ليست مجانية».

نفق مالينتا

٣
سياحة في جزر الجنة

"أساطير تسلب العقل، وطبيعة تردُّ الروح"

«إذا ظللت فقط في مانيلا فأنت لم تذهب حقًا الى الفلبين»

سمعت هذه الجملة كثيرًا من السياح، فحكمكم للفلبين يبدأ عندما تغادرون العاصمة مانيلا، إلى الدرجة التي قد تشعرون أن أجازتكم قد بدأت للتوِّ، فنمط الحياة هنا مختلف، وبعيد جدًا عن النمط المألوف للحياة المدينة العادية.

هكذا يقول لي سياح سبقوني إلى الفلبين، أما أنا، ولكي أكون صريحة معكم، فلم أشعر بذلك، أحببت مانيلا، ربما لأن اهتمامي بالسياحة الثقافية والمعرفية أكبر من استمتاعي بالطبيعة «البكر»، البعيدة عن مظاهر التمدن.

وعلى كل حال، كيف يمكن أن يكون المرء في الفلبين التي تشتهر بوجود حوالي ٧١٠٧ جزيرة، ولا يزور أيا منهم؟.

ولكن زيارة جزر الفلبين تتطلب إعدادًا جيدًا، وتفكيرًا في الأماكن، ووسائل المواصلات، أفضلها هي الرحلات الجوية، وهي ليست غالية الثمن كما يعتقد، بل سعرها معقول جدًا.

أسطورة الطائر وخلق الأرض

وللجزر في الفلبين أسطورة قديمة تناقلتها الأجيال منذ آلاف السنين، تدور حول نشأة الجزر في الفلبين، تحكي عن زمن عتيق، كانت الأرض كتلة يابسة واحدة تقع بين السماء العظيمة ومياه البحر العظيمة.

سئم الطائر الأسطوري من الدوران حول الكتلة اليابسة ذاتها لملايين السنين، لقد بذل العديد من المحاولات للطيران بعيدًا قدر الإمكان، لاكتشاف ما يكمن وراء الآفاق البعيدة، ولكن رجع خالي اليدين.

مـع ذلـك، كان الطائـر الكبـير يضطـر دائمًـا إلى العـودة؛ لأنـه لم يكـن هنـاك أرض أخـرى يمكـن أن يذهـب إليهـا، ويريـح أجنحتـه المتعبـة.

وذات يـوم، خطـر ببـال الطائـر فكـرة ذكيـة، أخـبر الطائـر الأسـطور بمكـر البحـر أنَّ السـماء غاضبـة مـن الطريقـة التـي يحتفـظ بهـا مـاؤه بنفـس ألـوان السـماء.

إذا قـررت أن ترتـدي السـماء لونًـا أزرقًـا، يصبـح المـاء أيضًـا أزرقًـا، إذا كانـت السـماء صافيـة وبيضـاء، تصبـح الميـاه صافيـة ومحايـدة، حتـى في الحالـة المظلمـة يتحـول المـاء أيضًـا إلى اللـون الرمـادي ويصبـح غامضًـا، وشـعرت السـماء بكراهيـة كبـيرة حيـال المـاء.

أضحـى المـاء غاضبًـا جـدًا عنـد سـماعه لهـذا الحديـث، وراحـت تتنفـس بعمـق شـديد حيـث ارتفعـت كميـات كبـيرة مـن المـاء عـلى شـكل أمـواج عملاقـة، مرتفعـة بمـا يكفـي للوصـول إلى السـماء ومـلء غيومهـا بالمـاء.

كانـت السـماء في حـيرة مـن سـلوك المـاء ؛ لأنـه يبـدو أنـه كان يقـذف السـماء عمدًا.

ثـم اقـترب الطائـر الأسـطوري بنفـس المكـر مـن السـماء، وأخبرهـا أيضًـا أن المـاء مسـتاء مـن حقيقـة أن السـماء كانـت هـي التـي تتخـذ القـرارات بشـأن اللـون الـذي تحـب أن تكـون عليـه، حتـى لـو أراد المـاء تجربـة ألـوان أخـرى؛ فـإن السـماء تسـتمرُّ في الانعـكاس عـلى سـطح المـاء.

غضبـت السـماء عنـد سـماعها هـذا الـكلام، فصرخـت بصـوت عـالٍ مـن الرعـد، وأومضـت الصواعـق التـي لم تـضرب المـاء فحسـب، بـل أيضًـا الكتلـة الكبـيرة مـن الأرض.

حتـى اسـتنزفت جميـع الميـاه المحمولـة في غيومهـا بينـما اسـتمر البحـر في قـذق أمواجـة الضخمـة عـلى السـماء.

أثـرت كل هـذة الأشـياء عـلي الكتلـة الكبـيرة مـن الأرض لأنهـا خفَّـت ببـطء، وضعفـت بينـما كانـت السـماء والبحـر يتقاتـلان ضـد بعضهـما البعـض.

وبعـد فـترة وجيـزة، بـدأت الكتلـة الكبـيرة مـن الأرض تتسـاقط قطعًـا صغـيرة مـمَّا أدخـل البهجـة والسـرور لـدى الطائـر المـكار.

رأت السـماء والبحـر مـا حـدث، ونتيجـة لذلـك أوقفـوا القتـال بينهـم وحاولـوا

بـكل قوتهـم إعـادة قطـع الأرض معًـا ثانيـة.

لكـن الآوان قـد فـات بسـبب وجـود حـوالي ٧٠٠٠ قطعـة مـن الأرض وكانـوا بعيديـن جـدًا عـن الأرض الرئيسـية.

الآن، وبعـد كل هـذه الجـزر التـي تنعـم بهـا الفلبـين، باتـت هنـاك أشـياء يمكـن للطائـر الأسـطوري أن يكتشـفها، ويسـتمتع بهـا.

* * *

جزيرة بورتو جاليرا

زرت خلال رحلتي ٤ جزر هم بورتو جاليرا، بوراكاي، بوهول وبالاوان، ولأننا في عطلة نهاية الأسبوع، فقد اقترح علي الأصدقاء الذهاب خارج مانيلا إلى الجزر القريبة، «بورتو جاليرا» الشهيرة بشواطئها الرملية البيضاء، وشلالاتها الجميلة.

بورتو جاليرا مدينة صغيرة على ساحل جزيرة مينـدورو، وتبعد حوالي ١٣٩ كيلو مترعن مانيلا، وبدأت الرحلة. استأجرت سيارة لتقلني إلى ميناء باتانجاس، واستغرقت الرحلة حوالي ساعتين ونصف، ثم وصلت إلى ميناء «باتانجاس»، وقطعت تذكرة لركوب العبارة التي تستغرق ساعة ونصف للوصول إلى ميناء «بورتو جاليرا».

وفي «بورتو جاليرا» توجد منطقتان رئيسيتان هما شاطئ «سابانغ»، ويبتعد ٥ كيلومترعن الشرق، أو «وايت بيتش» وهو على مسافة ٧ كيلو متر من الغرب، وليس هذان المكانان هما الوحيدان في» بورتو جاليرا» بل يوجد أيضًا ما لا يقل عن عشرين شاطئًا آخر، لا يقلون جمالا عنهما، ولكن سابانغ ووايت بيتش هما الأكثر شعبية والأكثر جذبًا للسياح، ومعظم الزوار يقيمون في شاطئ «سابانغ» ؛ لأنه مليء بالعديد من أماكن الإقامة بدء من الـ جيست هاوس إلى المنتجعات الفاخرة، فهم يقيمون في «سابانغ» ويذهبون إلى «وايت بتيش» للاستمتاع برمالة البيضاء الناعمة حتي أنهم يطلقون علية (بوراكاي الصغيرة) فهو في المرتبة الأولي في بورتو جاليرا يلية في المرتبة الثانية شاطئ «سابانغ». لكن كل الفنادق كان مليئة في هذا الوقت من العام، ولم أتمكن من الحجز في سابانغ فذهبت إلى وايت بيتش، أثناء الطريق إلى وايت بيتش حجزت غرفة في فندق صغير عبر الإنترنت اسمه Sea Jewel Beach Resort وهو من الفنادق المعروفة في المنطقة تديرة عائلة فلبينية، استقبلتني صاحبة الفندق بابتسامة عريضة، وأثناء ملء البيانات عرفت جنسيتي، فقالت لي بصوت خافت « أنا أحب الرقص الشرقي»، لقد كنت في دبي أكثر من مرة، ورأيت راقصات مصريات يرقصن في الفندق الذي كنت أقيم فيه.

وسألتني هل كل المصريات يجدن الرقص الشرقي؟ فأجبتها: لقد حاولت أن أتعلمه لكني فشلت. ويبدو أن إجابتي قد أحبطتها.

ثم أحضرت مفتاح غرفتي، وقالت لي إنها سوف توصلني بنفسها إلى الغرفة وسوف ترسل حقيبتي لاحقا مع أحد العاملين.

كانت الغرفة في الطابق الثالث والأخير، ورأيتها متجهة نحو السلم فسألتها عن المصعد؟

فردت مازحه أنتِ في إجازة، ثم إن صعود السلم مفيد للصحة.

كان ردُّها مبررًا لطيفًا لعدم وجود مصعد، وصعدت معها الدرج وكانت تصعد بخفة ورشاقة رغم علامات الشيخوخة البادية على وجهها، بالتأكيد في العقد السابع من عمرها، حاولت أن أجاريها في السرعة حتى وصلنا إلى باب الغرفة في اللحظة نفسها، وفتحت باب الغرفة، وطلبت مني أن أتأكد أن كل شيء على ما يرام، وأعطتني بعض التعليمات كأن أتأكد من إغلاق التكييف قبل مغادرة للغرفة، ولمبات الإضاءة، ثم أشارت لي على ورقة معلقة بجوار السرير، وقالت كل الملاحظات مكتوبة هنا.

وتمنت لي إقامة سعيدة ثم انصرفت. لقد أشعرتني أني أسكن في معسكر، إلى الدرجة التي دفعتني لقراءة ورقة الإرشادات قبل أن أفعل أي شيء، يا إلهي قائمة طويلة عريضة من المحظورات مثل عدم التدخين داخل الغرفة، وعدم تشغيل التلفزيون بصوت عالٍ، الاستحمام قبل نزول حمام السباحة، ممنوع الزيارات الخارجية، وممنوع طهي الطعام داخل الغرفة، وغيرها من الممنوعات..

ابتسمت وأنا أقرأ هذه القائمة فقد تذكرت أنني قبل أن أدخل الفندق وأنا مازلت على الباب الرئيسي وجدت صنبور ماء كبير الحجم وشكله غريب أمام باب الفندق مباشرة، وأيضًا لافتة مكتوب عليها: « إذا كنت آتيا من الشاطي فأغسل قدميك وحذاءك قبل دخولك الفندق، وامسح حذاءك في الدواسة الموضوعة على عتبة الباب».

وكنوع من الاحتياط مسحت حذائي في الدواسة عدة مرات قبل دخولي رغم أنني كنت آتية من الميناء وليس الشاطئ.

وعلى كل حال أنا أصلا لا أدخن، ووجود التلفزيون من عدمه لن يفيدني

بـشيء فأغلـب القنـوات هـي فلبينيـة، والقنـاة الوحيـدة العربيـة في التلفزيـون هـي قنـاة رياضيـة تذيـع مبارياـت كـرة القـدم وأنـا لسـت مهتمـة بكـرة القـدم، ولا أعـرف أحـدًا في هـذه المنطقـة ليـزورني أو أزوره.

كان الفندق يبعد فقط دقيقين سيرًا على الأقدام إلى الشاطئ.

وبعد أن وصلت حقيبتي استبدلت ملابسي وذهبت إلى الشاطئ.

وأثنـاء تواجـدك عـلى الشـاطئ لـن تشـعر أبـدًا بالوحـدة فـكل دقيقـة سـتجد مـن يـأتي إليـك ويعـرض عليـك القيـام بأحـد الأنشـطة الترفيهيـة كالذهـاب في رحلـة غـوص، أو ركـوب الأمـواج، أو التجديـف أو الذهـاب في رحلـة إلى إحـدى الكهـوف المجـاورة أو سـفاري، والشـاطئ مليـئ بالمقاهـي والمطاعـم والبـارات والمحـلات بـكل أنواعهـا بـدءًا مـن الهدايـا التذكاريـة إلى الوشـم، ورسـم الحنـاء وتجديـل الشـعر.

اخترت الذهاب إلى شلالات «تماراو» وهي رحلة نصف يوم.

تقع هذه الشلالات علي بعُد ١٠ كيلو مترا خارج منطقة بورتو جاليرا بإتجاة «كالابان"، عندما وصلت إلى شلالات تماراو، رأيت عبارة ترحيب مكتوبة على حائط صغير ملون في جهة اليمين مكتوب عليه (مرحبًا بكم في بورتو جاليرا وقلب ثم آسيا) بالإنجليزية.

والشلال شكله رائع أيضًا، فهو يتدفق من ارتفاع ٤٢٣ قدمًا (١٢٨,٣ مترًا)، ثم يتدفق مرة أخرى في سلسلة أخرى من الشلالات الصغيرة، وتتجمع كل المياه أخيرًا عند سفح الشلال، مشكلا بركة صغيرة، حيث يمكن للناس السباحة فيها، وعدنا إلى وايت بيتش قبل غروب الشمس.

وعنـد غـروب الشـمس في وايـت بيتـش، تبـدأ الحيـاة الليليـة في الحانـات والمطاعـم الموجـودة عـلى الشـاطيء، وهـم يقيمـون العـروض المختلفـة مـن الغنـاء والرقـص ورقصـات النـار، وحتـى عـروض لمثيـلي الجنـس.

وكل هـذه العـروض تنتهـي في الثانيـة بعـض منتصـف الليـل، وتوجـد فقـط أماكـن قليلـة جـدًا في المدينـة التـي تعمـل ٢٤ سـاعة.

المشـكلة الوحيـدة في وايـت بيتـش هـو عـدم توافـر ماكينـات الـصرف الآلي ومكاتـب تغيـير العمـلات، ولكـن يوجـد عـدد قليـل فقـط في المدينـة.

قضيـت ثـلاث أيـام في بورتـو جالـيرا، السـفر بسـيارة، ثـم ركـوب عبـارة، ثـم وصـولي للجزيـرة، كانـت حقـا تجربـة جميلـة.

وعـدت إلى مانيـلا، ومـن مانيـلا وكانـت رحلتـي التاليـة إلى بـوراكاي أو جزيـرة الفـردوس كـما يطلقـون عليهـا.

إذا سـألت أي فلبينـي أو أي سـائح زار الفلبـين مـن قبـل عـن الوجهـة السـياحية الأولى في الفلبـين فسـوف يقـول لـك بـدون تردد «بـوراكاي».

* * *

جزيرة الفردوس

بـوراكاي هـي جزيـرة تقـع في مقاطعـة يبلـغ طولهـا ٧ كيلـو مـترات وعرضهـا كيلـو متـر واحـد وتشـتهر بكونهـا واحـدة مـن أفضـل أماكـن الاسـترخاء في العـالم، وهـي تبعـد ٣٤٥ كـم مـن جنـوب مانيـلا.

ورغـم ذلـك لا يوجـد مطـار في بـوراكاي ولكـن يوجـد مطـاران رئيسـيان في مقاطعـة «أكلان»، أحدهـما يقـع في «كاتيـكلان» وهـو المطـار الأقـرب لبـوركاي، ويعـرف أيضًـا باسـم مطـار "بـوركاي»، والآخـر يقـع في «كاليبـو» وهـو أرخـص سـعرًا، وتوجـد شركتـان للطـيران تسـافر مـن وإلى المطـار هـما الخطـوط الجويـة الفلبنيـة وسـيبو باسـيفك.

وكانـت رحلتـي عـبر مطـار «كاليبـو» ومـن كاليبـو كانـت تقـف السـيارات والحافـلات أمـام المطـار لتقـل السـياح القادمـين إلى مينـاء كاتيـكلان، والمسـافة إلى المينـاء حـوالي ٧٠ كـم.

يوجـد في بـوراكاي حـوالي ١٣ شـاطئًا، أشـهرهم الشـاطئ الأبيـض، وشـاطئ بـولا لـوغ، والأكـثر شـعبية هـو الشـاطئ الأبيـض، وهـو مركـز بـوراكاي، عـلى طـول ٤ كيلومـترات، ويضـم ثـلاث محطـات رئيسـية تحتـل المحطـة الأولى الجانب الشـمالي والأوسـع مـن الشـاطئ، وتضـم الفنـادق والمنتجعـات الفاخرة، والشـاطئ فيـه رائـع وبالتـالي، فـإن كل تلـك الامتيـازات جعلـت سـعر الإقامـة فيـه مرتفعـة.

أمـا المحطـة الثانيـة فهـي أضيـق قليـلًا ولكنهـا مليئـة بالسُـياح والمحليـين، والمحطـة الثالثـة هـي الأكـثر هـدوءًا وتحظـى بطبيعـة خلابـة تتعانـق فيـة أشـجار جـوز الهنـد والنخيـل الموجـودة بكـثرة إلى جانـب العديـد مـن الفنـادق والمطاعـم والحانـات الليليـة داخـل مبـانٍ مصنوعـة مـن الخيـزران والقـش، وتوجـد بـه العديـد مـن الفنـادق الاقتصاديـة، ولـه شـاطئ واسـع.

بقيت في أحد الفنادق في المحطة الثالثة، كان الفندق جميلًا، والموظفون لطفاء كالمعتاد في أغلب الجزر.

كانت الكثير من الخيارات تُعرض عليَّ لقضاء يومي أغلبها رياضات مائية مثل ركوب الأمواج والتجديف، وهو من الأنشطة الهامة في بوراكاي، وإذا كنت مبتدئًا فلا داعي للقلق سوف يعلمونك.

بوركاي لديها حوالي ٢٥ موقع للغطس، أو ركوب التلفريك علي حافة جبل «لوهو» (أعلى نقطة في بواركاي وأعلى ارتفاع ١٠٠ متر فوق سطح البحر) وهذه كانت أول المغامرات على قائمتي (أشياء يجب أن أفعلها في بوراكاي) الصعود ليس سهلا، لكن المنظر من أعلى يستحق العناء.

في اليوم الأول حجزت تلك الرحلة المثيرة، واستمتعت برؤية الساحل الشمالي للجزيرة مع شاطئ إيليج -إليجان.

ثم أعادني التلفريك إلى نقطة المغادرة بطريقة أبطأ بكثير، ليمنحنا فرصة إلتقاط صور بانورامية.

وبعد نزولنا تفاجأت بالشاب الذي التقط الصور يعرضها عليَّ مقابل ١٠٠ بيزو.

ثم أبحرت بعد ذلك في قارب «الباراو» التلقيدي، المصنوع من الخشب والخيزران، وشراع كبير، والسعر للشخص الواحد ٢٠٠٠ بيزو ولشخصين كان ٣٠٠٠ بيزو، ويقل السعر، كلما تضاعف عدد الأشخاص، والقارب ياخذ من ٨ إلى ١٠ أشخاص، وكان أيضًا من الأنشطة الأساسية المكتوبة في قائمتي (أشياء يجب القيام بها في بوراكاي) واستمتعت بالمناظر المذهلة، ونحن نتجول على طول بوراكاي على متن القارب في المياة الفيروزية الصافية مع نسيم البحر المنعش.

لا يوجد شيء أكثر جمالًا من أن ترى غروب الشمس وأنت في الباراو.

لقد أحببت التجربة، في الحقيقة كنت خائفة في البداية لكن بعد قليل بدا القارب مريحًا، لكنها كانت تجربة غنية بالكثير من المرح، وبدأت أشعر بالاسترخاء، وأنا أشاهد مشهد غروب الشمس الساحر.

اليوم التالي

في اليـوم التـالي السـاعة ال ٩:٣٠ صباحًـا ذهبـت في رحلـة رحلـة بحريـة عـلى مـتن قـارب مشـترك حيـث سـنجوب شـواطئ بـوركاي لاكتشـاف أنحـاء الجزيـرة وتناولنـا الغـذاء (أسـماك وأرز...) عـلى مـتن القـارب، وكان القـارب يتوقـف مـن مـكان خـلاب إلى آخـر ليعطـي محبـي الغطـس فرصـة للغطـس في تلـك الأماكـن السـاحرة.

* * *

اليوم الثالث

في اليوم الثالث قررت الاسترخاء على الشاطئ.

ومن بوراكاي إلى بوهول.

* * *

جزيرة بوهول

كل جزيـرة في الفلبـين تجربـة بحـق تسـتحق الزيـارة واستكشـافها، ولسـت بحاجـة لحـزم حقائـب السـفر الثقيلـة، ولسـت بحاجـة لإحضـار أمتعـة كثـيرة، فدرجـات الحـرارة هنـاك ثابتـة تقريبًـا عـلى مـدار السـنة، لـذا كل مـا قـد تحتاجه هـو ملابـس صيفيـة خفيفـة، وسـترة للأمطـار، وواقـي للشـمس.

وبعـد أن حزمـت أشـيائي القليلـة توجهـت إلى مطـار كاتيـكلان لأخـذ رحلتـي المثـيرة إلى (بوهول).

اسـتغرقت الرحلـة مـن كاتيـكلان إلى مطـار تاغبيـلاران المحـلي عاصمـة بوهـول وهـي المطـار الرئيـسي في بوهـول حـوالي سـاعتين.

وجدت العديد من سيارات الأجرة أمام المطار، أخذت سيارة لتقلني إلى الفندق الذي يبعد بضعة دقائق فقط عن المطار، وأسعار الفنادق في بوهول معقولة جدًا مقارنة بأسعار الفنادق في الجزر الأخرى.

كانت الساعة التاسعة صباحًا، وكانت موعد الرحلة الصباحية التي قد حجزتها مسبقًا مع أحد المرشدين لتفقد المدينة، فوضعت حقيبتي الصغيرة في الغرفة وخرجت على الفور دون حتى أن أتفقد الغرفة.

مدة الرحلة ٨ ساعات، وقد كلفتي ٢٥٠٠ بيزو.

كان بإمكاني استقلال سيارة أجرة والذهاب بمفردي إلا أن فضلت الذهاب في رحلة مع جروب ومرشدين لأحصل على أكبر قدر من المعلومات.

وابتدأت المغامرة !

سـارت السـيارة في طريقهـا الي التـلال التـي أتيـت مـن أجلهـا، وأثنـاء سـيرنا أخبرنـا المرشـد أنـه هنـاك بعـض الأماكـن الهامـة في الطريـق وأننـا سـنتوقف أثنـاء مرورنـا مـن مـكان لآخـر لزيارتهـم.

وكان لـدي خلفيـة مسـبقة عـن تلـك الأماكـن، وكنـت قـد كتبتهـم في قائمـة الأماكـن التـي ينبغـي لي ألا أفـوت زيارتهـم.

مررنـا أولًا بكنيسـة «باكلايـون» وهـي كنيسـة كاثوليكيـة رومانيـة، يعـود تاريخهـا إلى القـرن السـادس عـشر وأقـدم كنيسـة في بوهـول وثـاني أقـدم كنيسـة

في الفلبين، وبناء الكنيسة مختلف تمامًا عن كل الأماكن التي رأيتها في حياتي فهي مبنية من الشعاب المرجانية، وتزين نوافذها ألواح زجاجية ملونة، وصور دينية من العصور القديمة، وموقعها إستراتيجي فهي مواجة للبحر.

وبها دير قديم ومتحف يضم العديد من القطع الأثرية، ورأيت به بعض الأثار القديمة، معظم القطع الموجودة هي قطع دينية، ورأيت تمثالًا عاجيًا للسيد المسيح يعود إلى القرن السادس عشر، وتمثال للسيدة مريم، وأثار القديس أغناطيوس دي لويولا، وأثواب كنسية مطرزة بالذهب ومجموعة من الكتب وبعض اللوحات للرسام الفلبيني الشهير «ليبراتو غاتشاليات».

وبعد تلك الجولة التاريخية بكنيسة «باكلايون» ذهبنا مباشرة إلى جولة أخرى في نهر «لوبوك» استقللنا مركب لمدة ساعة واحدة واستمتعت بمشاهدة الأشجار المؤرقة أثناء سير المركب والتي كانت تنزلق ببطء وخفة على المركب أثناء سيرة بينما يستلق الأطفال أشجار جوز الهند العالية التي تملأ المكان ثم يفقزون في الماء.

حتي وصلنا إلى شلال بوساي أخر نقطة لنا، وتوقف المركب قليلًا ليتيح للزائرين مشاهدة الشلال عن قرب، والتقاط بعض الصور التذكارية، على الرغم من صغر حجمه، حيث يتراوح ارتفاعه حوالي متر ونصف إلا أن منظره خلاب وسط الطبيعة الساحرة.

وعدنا بالقارب.

ثم مررنا في طريقنا بغابة الماهوغوني الواقعة على حدود مدينتي «بيلار» و«لوبوك»، في طريق يبلغ امتداده ٢ كلم.

تقف الأشجار الخضراء العالية منتصبة على جانبي الطريق السريع، قريبة من بعضها البعض مثل جيش من الجنود قرر أن ينتصر، شعرت وكأنني مررت عبر بوابة الزمن إلى عالم آخر لم يأت بعد، عالم بعيد عن عالمنا، أتأملها وفروعها تتدلي فوق رأسي، وأنا واقفة في منتصف الطريق السريع، أشعر بوحدة ساحرة في هذا المكان الرائع.

«أهلا بكم في غابات الماهوغوني»، صاح المرشد السياحي بهذه الكلمات، ليسرقني من خيالي إلى الواقع، «هذه الغابة يا أصدقائي هي من صنع الإنسان»، ابتسمت.

يـا إلهـي! هـل لأحـد أن يسـكنها؟ أريـد أن أتأمـل بهـدوء، ورحـت أتأمـل الأشـجار مـن جديـد، لكـن هيهـات أن تختـلي بنفسـك في هـذا المـكان، فلقـد مـرت سـيارة مسرعـة مـن أمامـي، بسرعـة خطفتنـي مـن سـبات أحلامـي.

ليـس مـن السـهل عيـش أحـلام اليقظـة، وسـط طريـق سريـع وأشـخاص لا يتوقفـون عـن الثرثـرة.

اقـترب منـي المرشـد قائـلا: أعلـم أنـكِ مسـتمتعة بالمـكان، ولكـن لا نسـطيع التوقـف هنـا لوقـت أطـول مـن ذلـك لأنـه لا يوجـد مـكان انتظـار للسـيارات، لكـن يمكـن أن التقـط لـك الآن صـورة تذكاريـة، لتذكـرك دومًـا بهـذا المـكان.

وغادرنا إلى وجهتنا الأكثر إثارة.

* * *

تلال الشوكولاتة

وصلنا إلى تلال الشوكولاتة

أو كما يحلو للفلبينيين أن يسموها» تسوكولاتينغ برول» -Tsokolatengbu rol وهي أهم ظاهرة طبيعية يمكن لكم أن تكتشفوها في بوهول.

عندما سمعت لأول مرة عن تلك الجبال شرد خيالي بعيدًا، وتخليت ال ١٧٧٦ تلا من الشوكولاتة التي تتراوح أطوالهم بين ٣٠،٥٠ حتى ١٢٠ مترًا أمامي!

مشاهد عديدة تخيلتها، ولكني عندما رأيتها فاق المشهد كل تخيلاتي.

تصطف تلال كبيرة الحجم يمنة ويسرى، مغطاة باللون البني الداكن الذي يشبه لون الشوكولاتة، تبدو وكأنها تلال من الشوكولاتة العملاقة تحاول أن تلتهمنا ونحن صغار الحجم بينهما، في مشهد كارتوني مشوق.

وشرعت المجموعة المرافقة لي يتشاركون التعليقات المازحة، «شوكولاتة غير صالحة للاستهلاك»، "يا إلهي كل تلك التلال، ولم نحظ حتى بقضمة واحدة صغيرة".

وتساءلت فتاة عمَّ إذا كانوا يبيعون شوكولاتة حقيقية في المكان، ورد عليها زوجها: "لو أنهم أقاموا مصنعًا للشوكولاتة هنا فسوف يجنون أرباحًا مهولة خيالية".

وظلوا يحلمون ويتخيلون حتى توقفت بنا السيارة، وبدأنا نسير على الأقدام وسط التلال، وجدنا أنفسنا أمام درج، بدأنا بصعوده، درجة درجة ٢١٤ درجة سلم.

بعد الصعود وجدت نفسي في منصة تشبة برج المراقبة، لأرى عبرها ١٧٧٦ تلة مخروطية الشكل، على شكل قبب، تغطي مساحة ٥٠ كيلو مترًا، وتبدو جميعها متماثلة على الرغم من اختلال أحجامها التي تتراوح بين ٣٠ و ٥٠ مترًا، وأعلى تل يصل إلى ١٢٠ مترًا في مشهد بانورامي مهيب.

إنها مذهلة، أخذت أتأملها كثيرًا، وتساءلت: ما هذا التكوين الجيولوجي الفريد؟ ولماذا يطلقون عليها تلال الشوكولاتة؟!

وهنا جاء رد مرشدنا قائلا: «لأنها خلال موسم الجفاف بين شهري ديسمبر

ومايـو يجـف العشـب الـذي يغطـي تلـك التـلال مـن الحجـر الجـيري فيتحـول لونهـا إلى اللـون البنـي كلـون الشـوكولاتة، أمـا في موسـم الأمطـار فهـي مغطـاة بالنباتـات الخـضراء».

ثم سالته كيف تكونت هذة التلال؟

فأجابني بأنه لا يوجد إجماع حول كيفية تكوين تلك التلال.

ولكـن هنـاك تفسـيرًا واحـدًا قـد يكـون مقبـولًا نوعًـا مـا، وهـو أن هـذة التـلال قـد تكونـت مـن الصخـر الكلـسي المرجـاني، حيـث يغطـي البحـث هـذة الجزيـرة في العصـور الجيولوجيـة القديمـة منـذ آلاف السـنين، ويغطيهـا طبقـة مـن الطـين الصلـب ينبـت عليـه أنـواع معينـة مـن الأعشـاب.

لكـن سـكان المنطقـة وجـدوا تفسـيرات أخـرى لتلـك التـلال وهـم يتداولـون دائمًـا أربـع قصـص أسـطورية حـول كيفيـة تشـكل تلـك التـلال العجيبـة، منهـا أنهـا أُنشـئت بواسـطة العمالقـة الذيـن خاضـوا معركـة فوضويـة كبـيرة مـع بعضهـم البعـض باسـتخدام الرمـال والأحجـار، وعندمـا شـعروا بالإرهـاق تحولـوا فجـأة إلى أصدقـاء.

وبـدأوا يقضـون وقتـا هادئـا ممتعًـا مـع بعضهـم، حتـى أنهـم نسـوا تنظيـف فوضتهـم، مـما أدَّى إلى تلـك التـلال الموجـودة اليـوم.

وأسـطورة ثانيـة، وهـي أنَّ عملاقـا يدعـي «أروجـو»، أحـب امـرأة تدعـى «ألويـا»، أصيبـت بمـرض مزمـن، وعندمـا ماتـت أصيـب بـالآلم، وظـل يبـكي بحسرة شـديدة حتـى تحولـت دموعـه إلى تلـك التـلال، لتجسـد الحـب والإخـلاص.

وقصة ثالثة عن عملاق يدعي «ميغيل»، كان يأكل كل شيء يجده أمامه، وفي يوم ما أحب فتاة شابة وجميلة تدعى « أدريانا»، وليكسب قلبها قرر أنه سوف يفقد الكثير من الوزن، فتغوط كل ما أكله.

وفي النهاية غطى البراز الأرض، وفاز بقلب «أدريانا».

أما الأسطورة الرابعة فتجسد معاناة أهل الجزيرة مع جشع وطمع عمالقة «كارابو»، الذين يأكلون كل محاصيلهم الزراعية، وحتى يواجهوا هذه المشكلة قرروا أن يضعوا أغذية فاسدة مع المحاصيل.

وبعد أن إلتهمها العمالقة، أصيبوا بأوجاع في المعدة، وظلوا يفرزون كل ما أكلوه على شكل تلال.

حكايات وأساطير كثيرة مسلية سمعتها حول كيف تكونت تلك التلال، كل حكاية طرفية ومسلية ورغم اتفاق أغلب الحكايات على العمالقة إلا أن العلماء لم يقدموا أي إجابات حول تلك التلال، وبقيت الإساطير هي القائمة.

ودعت تلال الشوكولاتة الجميلة، ولم أحصل على أي نوع من الشوكولاتة إلا أنني قد حظيت بمشاهد لن أنساها أبدأ برؤيتي لتلك الأعجوبة الرائعة.

تلال الشوكولاتة

هل استمتعتم بالتلدل؟
سألنا مرشدنا السياحي.
أجبنا جميعًا : نعم
ثم قال: إذن استعدوا للمغامرة

جسر البامبو المعلق

بعد حوالي ٣٧ كيلو متر، وصلنا إلى جسر معلق للمشي، مصنوع من البامبو والحبال والفولاذ الصلب، يبعد حوالي ٤٠ مترًا فوق النهر، وكانت مغامرة أن نسير فوق هذا الجسر، ونعبر للجهة الأخرى، أسير على الجسر بقلق وحذر، ليس سهلا على الإطلاق فهو حقًّا نوع من المخاطرة والمغامرة في آن واحد، فكل خطوة أسيرها يتأرجح جسر البامبو على الرغم من وجود كابلات الدعم الفولاذية.
الناس يأتون من خلفي، ويعبرون أمامي، وأنا كالشجرة، واقفة في مكاني لا أتزحزح.
«لا تنظري للأسفل!»

قالها لي أحدهم، ثم أكمل: «فهذا الجسر رفيع جدا، لكنه متين، هل تعلمي أنه عندما بني في الأصل كان مصنوعا فقط من الحبال والخيزران فقط، أما الآن فقد زودوه بالكابلات الفولاذية ليعزز الشعور بالأمان.

مرَّ من جانبي شخص على دراجة نارية صعيرة، وهنا أيقنت أن هذا الجسر قويًا ليتحمل كل هذه الأوزان.

وسرت دون النظر إلى أسفل، في محاولة لشق طريقي بين الناس الذين يتوقفون لالتقاط الصور، حتى أصل لنهايته، وأحظى برؤية أشجار المانغروف الكبيرة.

جسر البامبو المعلق

وثـاني أبـرز شيء أدهشـني بعـد الجـسر المعلـق، كان بمثابـة تجربـة، رؤيـة حيـوان الترسـير المهـدد بالانقـراض، وهـو كائـن ليـلي ينـام نهـارًا، ويسـتيقظ ليـلا، وهـو ليـس خفـاش، ولـو أنـه يشـبهه في بعـض الصفـات.

وتحتاج حتى تراه إلى دليل، يوجهك إليه في جولة قصيرة.

وأثنـاء جولتـي أشـار الدليـل إلى شـجرة كبـيرة، يقـف عليهـا أحـد الترسـير، حيـوان لـه عينـان كبيرتـان، وأذنـان كبيرتـان أيضًـا تشـبه أذن الخفـاش، ويتنقـل بـين الأشـجار ليـلًا.

* * *

جزيرة الأحلام

بعد أن انتهت جولتي في بوهول، كانت محطتي الأخيرة في الجزر زيارة جزيرة بالاوان، اكبر مقاطعة في البلاد وخامس أكبر جزيرة في الفلبين، أطلق عليها الصينيين قديماً إسم pa-la-yu وتعني «أرض المرافيء الجميلة»، وأطلق عليها الهنود إسم palaws أي «الأرض» وأطلق عليها السكان الأصليون للجزيرة إسم palwar أي « النبات»، وأشار اليها الأسبان بإسم "piragua" والتي تعني «مظلة».

ويعتقد أن بالاوان يعود تاريخها الي أكثر من ٥٠٠٠ سنه، وكان يعيش فيها التجار الذين كانوا يعتمدون علي البحر في نقل بضائعهم.

حصلت بالاوان علي المرتبة الأولي كأفضل جزيرة في العالم لعام ٢٠١٧ من مجلة السفر «كوندي تاست ترافيل»، تلتها جزيرة بوراكاي.

وقال عنها جاك كوستو عالم المحيطات الفرنسي «أنها أجمل مكان إكتشفه على الإطلاق». وكانت مصدر إلهام الكاتب الإنجليزي أليكس جارلاند الذي كتب روايتة الشهيرة «الشاطئ» أثناء إقامته في الفلبين الذي إستلهمها بشكل خاص من جزيرة بالاوان، وتحولت الرواية الي فيلم يحمل نفس الإسم.

إن وجود جزيرتين في المراتب الأولي كأفضل الجزر في العالم يعني أنني فى المكان الصحيح.

ثلاث أيام كانت كافية لأري أغلب الأماكن التي تشتهر بها الجزيرة، التى تضم العديد من الأماكن والمدن المميزة، مثل مدينة بويرتو برنسيسا «العاصمة» التي تمتاز بعجائبها الطبيعية وهي موطنا لنهر تحت الأرض ويحمل نفس الإسم، وهو أطول نهر جوفي في العالم، واحد اعجب عجائب الدنيا الطبيعية واحد مواقع التراث العالمي لليونيسكو، وتحتوي علي العديد من المرتفعات الجبلية، والسهول الخضراء، وتتميز بهطول كمية كبيرة من الأمطار الموسيمة خلال فصول السنة، وبحيرة باراكودا اهم معالمها التي تقع في جزيرة كورون، وهي موقع للغطس غير عادي، وتتميز مياهه بمزيج من المياة العذبة وطبقات الملح مع درجات حرارة دافئة تصل الي ٤٠ درجة مئوية، وزرت جزر النيدو التي تمتلك مناظر طبيعية مذهله وموطن لأكثر من ٨٥٠ نوعا من الحياة البحرية، و ٣٠ موقع للغوص، وزرت خليج هوندا الذي يقع علي بعد ٤٥ دقيقة شمال بويرتو برنسيسا، وهذا

الإسم قد أطلقه عليه الأسبان ويعني «الخليج العميق» واشهر مكان للزيارة في خليج هوندا هو جزيرة « نجم البحر» التي سميت علي إسم نجم البحر البرتقالي الذي يتوفر بكثرة في الجزيرة.

ولا عجب أن شهدت هذه الجزيرة التي تقع بين بحر الصين الجنوبي، وبحر سولو تصوير مشاهد من افلام جيمس بوند.

بجانب السياحه فان الزراعه هي الصناعه الرئيسيه في المقاطعه، وهناك ثلاث محاصيل رئيسيه تزرع في بالاوان هم الأرز، الذرة، جوز الهند، تشتهر أيضا الجزيرة بزراعة الكاجو، حتى أنهم يطلقون عليها عاصمة الكاجو، والعسل البري الذي يقوم السكان بجمعه وبيعه للمحلات التجارية فى المدينه.

وهي واحده من اغني مناطق صيد الأسماك في البلاد، حوالي ٤٥ ٪ من امدادت الأسماك في مانيلا تأتى من الفلبين. والسمك المجفف «داينج» الذي يتم تجفيفه تحت أشعة الشمس لعدة ايام قبل بيعه

وتشتهر أيضا بالحرف اليدوية التي تصنعها قبائل بالاوان الأصلية التي تبيع أعمالها في المدينه للحصول علي المال الذى يحتاجونه للعيش.

عادة ما تكون هذه المصنوعات اليدوية مصنوعه من الخشب الذى يحصدونه من بيئتهم، معظمهم من الغابات، تصور هذه المصنوعات اليدوية فنهم وثقافتهم التي تضيف القيمة الثقافية والتراثية للشعوب الأصلية في بالاوان.

وعدت إلى مانيلا العاصمة التي لا تنام.

****

٤

حياة

فتيات الفلبين..

وكانت تنتظرني أمام الفندق في مانيلا إحدى الفتيات اللاتي أتت بترشيح من صديق لي لترافقني باقي مدة إقامتي في الفلبين.

وبالفعل، وصلت الفندق، ووجدتها بانتظاري، اسمها «نيل» كانت في الثانية والثلاثين من عمرها، ونيل لا تختلف كثيرًا عن أغلب الفتيات الفلبينيات اللاتي رأيتهن.

غالبية الفلبينيات يتشاركن نفس قصر القامة، ولون الشعر الأسود الناعم، والبشرة البيضاء، لكن نيل حاولت التمرد على لون الشعر الأسود بصبغة باللون الأصفر الفاقع، لكنه كان يبدو غريبًا عليها.

وأغلب النساء في الفلبين مكافحات، يكافحن من أجل لقمة العيش، ويعملن بأي شيء، وكل شيء بكل جد واجتهاد، ولا يشتكين إلا قليلًا.

تحدثت قبل سفري مع صديقي إيهاب مصطفى الصحفي في جريدة الدستور عن الفلبين، وبأني أنتوي زيارتها، فسألني بفضول: لماذا يطلقون على الفلبين بلد الخادمات؟ رغم أن الفلبين ليست أكثر فقرًا من دول أخرى، ولماذا لا نسمع عن الرجال في الفلبين؟.

إنه سؤال مثير للإهتمام، لكن وقتها لم يكن لدي معلومات مؤكدة حول تساؤلاته، وقلت له أعدك أنني سأعرف السبب عندما أسافر، وأجيبك لاحقا.

وأنا هناك الآن، سألت «نيل»: لماذا تعمل أغلب النساء الفلبينيات خادمات في عدة دول، خاصة العربية؟

أجابت هناك جانبان لهذا السؤال الأول «المال» لأن الرواتب هنا متدنية للغاية، ولا تكفي لتلبية احتياجات الأسرة، والزيادة السكانية في الفلبين أثرت

عـلى فـرص العمـل.

والثـاني هـو أن المـرأة الفلبينـة تعمـل بجـد، وهـي تحفـظ الأسرار، ولا تشـتكي الا قليـلاً، لذلـك فهـي مرغوبـة.

شوارع الهوى بالفلبين

كثـيرًا مـا سـمعت عبـارة» ليـدي بـوي» في الفلبـين، وكثـيرًا مـا اسـتوقفتني الكلمـة، لكنـي لم أجـد الفرصـة للسـؤال عنهـم، وكثـيرًا مـا سـمعت هنـا عـن شـارع الأضـواء الحمـراء، وطلبـت مـن «نيـل» أن تصطحبنـي إلى هنـاك، أريـد أن تـرى عيـوني مـا تسـمعه أذني، لاننـى الي الآن لا أسـتطيع أن أتخيـل كل مـا سـمعته.

وأخبرتنـي نيـل أن هـذا الشـارع يعمـل فقـط في المسـاء، وتحديـدًا عنـد منتصف الليـل، وانتظرنـا حلـول المسـاء، وفي الحاديـة عـشر والنصـف طلبنـا «جـراب» ليقلنـا إلى شـارع الأضـواء الحمـراء، والـذي عرفـت أنـه يسـمَّى بورجـوس Burgos، ويقـع في منطقـة مـاكاتي.

لم أكـن بحاجـة لمـن يخـبرني بأننـا وصلنـا، فالأضـواء الحمـراء التـي تـضيء عتمـة الليـل كفيلـة بتنبيهـي بأننـا في المـكان المقصود.

والآن عرفت لماذا يطلقون عليه اسم شارع الأضواء الحمراء.

أسـير وسـط طريـق يصطـف عـلى اتجاهيـه الحانـات، وفتيـات، ومثليـي الجنس يرتـدون أحذيـة ذات كعـوب عاليـة، وملابـس قصـيرة أو «حـمالات الصـدر مـع «شـورت» قصـير، واقفـون منتصبـين عـلى قارعـة الطريـق، أو يتمشـون بطريقـة ملفتـة للـمارة.

كانـت هـذه هـي المـرة الأولي بحيـاتي التـي أرى بهـا مثـل هـذه الشـوارع، وعندمـا كنـت أشـاهد في التلفزيـون فيلـم " خمسـة بـاب" لم أكـن أتصـور أبـدًا أننـي قـد أراه حقيقيًـا.

أقـترب ببـطء إلى إحـدى الحانـات، وأجـد رجلـين عريـضي القامـة، يقفـون عـلى بابهـا لحراسـته، يبـدو مـن هيئتهـم أنهـم ليسـوا رجـالًا عاديـين، ربمـا يكونـون «حراسًـا للمـكان»، إذا اقتربـت أكـثر مـن الحانـة، سـوف يطلبـون منـك بالإنجليزيـة أن تدخـل وتلقـي نظـرة عـلى المـكان، «نظـرة مجانيـة» يفعلهـا

الكثيريـن بدافـع الفضـول.

يـا إلهـي، المـكان مظلـم جـدًا مـن الداخـل إلا مـن بعـض الأضـواء البسـيطة الخافتـة، ومكتـظ بالفتيـات الذيـن يرقصـون ب»البيكينـي»، وفي كل حانـة سـوف تجـد سـيدة كبـيرة، بالعمـر ونحيلـة سـوف تقـدِّم نفسـها بـ»ماما» ثـم اسـمها بعـد ذلـك.

و»ماما» اسـم تطلقـه المـرأة المسـؤولة عـن عـدد معـين مـن الفتيـات، وسـوف تطلـب منـك البقـاء واختيـار إحـدى الفتيـات، وإذا لم تعجبـك الفتيـات الموجـودة سـوف تطلـب رقـم هاتفـك، وتخـبرك انهـا سترسـل لـك مزيـدًا مـن الصـور، أو أن ترسـل إليـك مجموعـه عـلى الفنـدق الـذي تقيـم فيـه.

أمـا إذا قـررت أن تتجـول في الشـارع، فسـتجد انتشـارًا كبـيرًا لفتيـات «المسـاج» في الشـارع طـوال الليـل.

هـؤلاء النسـاء يتسـكعن عـلى طـول الشـارع في مجموعـات، ويطلـبن الرجـال لعمـل جلسـات مسـاج لهـم، في أماكـن مخصصـة للتدليـك في إحـدى المحـال الموجـودة في الشـارع نفسـه، هـؤلاء النسـاء في العـادة يرتديـن ملابـس تشـبه الزي المـدرسي أو زي الممرضـات أمـا إذا كانـت ترتـدي غـير ذلـك فمعنـاه أنهـا تعمـل لحسـابها الخـاص، وفي هـذه الحالـة فسـوف تعـرض عليكـم الذهـاب مبـاشرة إلى غرفـة الزبـون.

عادة ما يكون سعر المساج العادي ٥٠٠ بيزو (١١,٥٠ دولار أمريكي).

ويوجـد أيضًـا يواجـد كثيـف لرجـال الشرطـة في الشـارع، وذلـك يمنـح الأمـان للسـائحين، لأن أغلـب رواد المـكان مـن العـرب والأجانـب، وعـلى عكـس السـائح الـذي يمنحـه تواجـد رجـل الشرطـة الشـعور بالأمـان، فـإن تواجدهـم أمـر مزعـج جـدًا للباعـة الجائلـين والذيـن في الغالـب يبيعـون أشـياء محظـورة كأدويـة « المنشـطات الجنسـية» أو حتـى المتسـولين، الذيـن يلـوذون بالفـرار فـور أن يـروا رجـل الشرطـة، حتـى إذا كانـوا يعرضـون عـلى أحـد الزبائـن بضاعتهـم، فإنهـم يتركـون البضاعـة مـع الزبـون ويفـرون، حتـى يرحـل رجـل الشرطـة أو يتـوارى عـن الأنظـار، فيعـودون لتكملـة الصفقـة.

هنـاك أيضًـا العديـد مـن «الليـدي بـوي» المتحولـين جنسـيًا والذيـن يعرضـون أيضًـا خدمـة المسـاج أو أمـورًا أخـرى وإذا مـررت بالصدفـة مـن أمامهـم،

فستجدهم على الفور يستقبلونك بقولهم» مرحبا سيدي»، هل ترغب بجلسة مساج؟.

ليس «بورجوس» هو الشارع الوحيد في الفلبين لبائعي الهوى، لكن توجد أيضًا مدينة «أنجيليس» وهي تبعد (٩٤) كم من بورجوس، وهو من أكبر الاماكن للحياة الليلية في الفلبين.

على امتداد الشارع الذي يبلغ حوالي ٣٠٠ متر تصطف أيضًا العديد من الحانات وصالونات التدليك والمقاهي والفنادق والمطاعم وخاصة التي تقدم الأكلات العربية ومحلات الصرافة.

وهذا يمنح الرجال شعورًا بأنه ليس هناك من داعٍ لمغادرة المكان والذهاب لمكان آخر.

رغم أن الدعارة ليست قانونية في الفلبين، وممنوعة حسب القانون الجمهوري رقم ٩٢٠٨ الصادر في عام ٢٠٠٣ فيما يخص التصدي لتجارة البشر، وتصنف الدعارة تحت بند الاغتصاب وعقوبتها السجن مدى الحياة، إلا أنها منتشرة بكثرة.

* * *

تنشق الهواء

أجمل الأشياء في مانيلا أبسطها، التجول في الشوارع، والتنفس عميقا، استنشاق نسمات الهواء المنعش الخالي من أثار النيكوتين.

نعم «مانيلا» خالية من التدخين، في عام ٢٠١٧ وقَّع الرئيس الفلبيني، رودريجو دوتيرتي والذي كان مدخنًا شرهًا قرارًا بحظر التدخين في البلاد.

وهذا الحظر لا يُطبق على المستشفيات والهيئات الحكومية فقط، بل يمتد إلى الشوارع، والفنادق، والأسواق، والمطاعم، والبارات والمدارس، ووسائل المواصلات جميعها، حفاظًا علي الأرواح، وتجنب الإصابات بالأمراض الخطرة؛ لأن دخان السجائر يحتوي على ثاني أكسيد الكربون، والميثان، والمواد الكيماوية السامة الأخرى، التي تسهم في تلوث الهواء، وتغيير المناخ.

وشمل القرار أيضًا حظر التدخين للسجائر الإلكترونية.

ليس هذا فقط، بل وفرض غرامات على المدخنين في الأماكن العامة، تتراوح من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠٠ بيزو، أو فرض غرامات مالية على الأماكن التي تبيع السجائر للقُصَّر قدرها ٥٠٠٠ بيزو أو السجن لمدة تصل إلى ٣٠ يومًا في حال تم ضبطهم.

لذلك لن تدخل محلًا أو مطعمًا أو كافية أو حتى تركب تاكسي إلا وتجد لافتة معلقة، مكتوب عليها بالتيجالو والإنجليزية (ممنوع التدخين) وإذا لم تكن تجيد اللغتين أو حتى لم تأخذ بالك فسوف تتفاجأ بالبائع أو السائق يصرخ في وجهك وربما ينتزع السيجارة المشتعلة من يدك، أو فمك، ويلقي بها في أقرب صندوق قمامة، لأنه لو شوهدت وأنت تدخن ولم تكن تعرف عقوبة التدخين فسوف يحاسب السائق أو البائع أو المسؤول في المكان الذي كنت فيه.

وتوجد أماكن محدودة مخصصة للتدخين في الأماكن العامة.

وفي حال ما إذا رغبت في التدخين في أي مكان عام في الفلبين أو حتى في الطرقات فما عليك إلا أن تتقدم إلى أقرب حارس أمن وتسأله عن المكان المخصص للتدخين حتى لا تتعرض للغرامات، وتأكد من أنك تسأل حارس

الأمـن ولا تسـأل الماريـن في الشـارع حتـى لـو كان فلبينيًـا لأن أغلبهـم اقلعـوا عـن التدخـين أو ليسـوا مدخنـين، ولذلـك قـد يدلـوك عـلى مـكان خاطـئ، وسـتتحمل أنـت المسـؤولية.

وفي الحقيقة قد أعجبني هذا القرار، وكنت سعيدة وأنا أسير في الشارع دون أن أري أعقاب السجائر تملأ الأرض، ويبدو أن الفلبينيين قد لاقوا القرار بالقبول، وتأقلموا على الوضع الجديد، والغالبية منهم قد أقلعت عن التدخين نهائيًا.

وبالتالى فإن مانيلا هي وجهة مناسبة لأولئك الذين يرغبون فى الإقلاع عن التدخين ويحظون بعطلة صحية.

وإذا كان هناك متضرر في الفلبين من قرار منع التدخين فهو شركات صناعة السجائر التى تراجعت مبيعاتها.

****

ثقافة الأسرة الفلبينية

خـلال إقامتـي في الفلبـين، اكتشـفت أن هـذا الشـعب متعـدد الثقافـات، والممـزوج بالثقافـة الإسـبانية الكاثوليكيـة مـع التأثـيرات الأمريكيـة واليابانيـة والصينيـة وغيرهـا.

أسـتطيع أن أقـول إنـه رغـم كل التنـوع الثقـافي الهائـل إلا أنـه لم يؤثـر عـلى عـادات النـاس وتقاليدهـم، لقـد زرت العديـد مـن البلـدان المختلفـة، وكل بلـد تمتـاز بميـزة أو صفـة مميـزة عـن البلـد الأخـرى، وأحيانـا تتشـابه الصفـات بـين بعـض البلـدان وأهـم صفـة فى الشـعب الفلبينـي هـى عمـق العلاقـات الأسريـة، رغـم التحـرر الموجـود في البلـد.

إلا الأسرة هـي أسـاس الثقافـه في الفلبـين، والأسرة هنـا لا تشـمل الأب والأم والأبنـاء فقـط بـل أيضًـا الأعـمام والعـمات والأجـداد وأبنـاء العـم وحتـى الأصدقاء المقربـين، مهـما كانـت الأسرة ومهـما كان وضـع أبنائهـا فهـي مهمـه للغايـة.

إذا قمـت بزيـارة عائلـة فلبينيـة سـوف تعرفـون وتشـاهدون بأنفسـكم كيـف هـو الشـعب الفلبينـي حقًّـا، سـترون التجانـس والألفـة والمحبـة بـين العائلـة الواحـدة، إن هـذه المحبـة هـي ثمـرة تقاليـد، انتقلـت مـن جيـل لجيـل وحافظـوا عليهـا.

سـترون الترابـط بـين الأسر الفلبينيـة بعضهـا ببعـض، إنهـم ليسـوا مثـل الغـرب، عندمـا يصـل الأبنـاء إلى سـن الثامنـة عـشر، أو عندمـا يتخرجـون مـن المدرسـة ؛ فإنهـم ينشـغلون أو ينفصلـون عـن أسرهـم مـن تلقـاء أنفسـهم، لكـن الواقـع ليـس كذلـك في الفلبـين، فمعظـم الفلبينيـين يبقـون في منـزل أبويهـم حتـى يتزوجـوا مهـما بلـغ عمرهـما، حتـى إذا كانـوا مسـتقلون ماديـا وقـادرة عـلي السـكن وحدهـا.

وقـد تـرى عـلى الأقـل ثلاثـة أجيـال في الأسرة الواحـدة يعيشـون تحـت سـقف واحـد، والأهـم مـن ذلـك أن كبـار السـن بـالأسرة لا ينزعجـون ولا يـرون هـذا عبئًـا عليهـم. بـل يعتبرونـه نعمـة أنهـم يعيشـون معًـا تحـت سـقف واحـد.

إذا زرت الفلبـين يومـا فقـد تسـمع دائمـا كلمـة «كويـا» وهـي تعنـي»الأخ الأكـبر»، وهـي في الواقـع عبـارة احـترام وهـم أبـدا لا ينسـون أن يتفوهـوا بهـذة

الكلمـه طـوال الوقـت، ومـن غـير المألـوف أن تنـادي عـلى أخيـك الأكـبر سـنا باسـمة دون أي ألقـاب، وإذا كان لـدى الشـخص العديـد مـن الإخـوة الأكـبر سـنا فإمكانهـم أن يضيفـوا «كويـا دانيـال»، «كويـا فرانسـيس».

وأول مـرة سـمعت فيهـا هـذه الكلمـة كانـت مـن «نيـل» عندمـا ضللنـا طريقنـا ذات يـوم، وكلـما سـألت أحـد الماريـن عـن الطريـق الـذي يـؤدِّي إلى الفنـدق، بـدأت كلامها بكلمـة (كويـا) ثـم تسـأله، وقـد جذبـت الكلمـة انتباهـي، وكنـت أعتقـد أنهـا تعنـي «مـن فضلـك» وسـألتها عـن معناهـا، فقالـت أن كلمـة «كويـا» بالتيغالـو تعنـي أخـي، وهـي عبـارة مـن عبـارات الاحـترام.

وهـي تعنـي أيضًـا كلمـة «سـيدي» في الفلبـين، فيمكـن أن تقولهـا للشرطـي، والبائـع، إلـخ.... ولا يخلـو أي اجتـماع عائـلي أو جلسـة مـن الطعـام، فالشـعب الفلبينـي محـبٌّ للطعـام أكـثر مـن أي شيء آخـر، وكلـما قابلـت أحـد سـوف يسـألك سـؤالا واحـد (هـل أكلـت؟).

****

عاصمة السيلفي في العالم

يحب الفلبينيين إلتقاط الصور الى حد الهوس، خاصة «السيلفي» تلك الصور التي تؤخذ عادة بهاتف خلوي، ممسكا الهاتف بطول الزراع، أو بإستخدام حامل للهاتف، وهذا النوع من الصور يتمتع بشعبية كبيرة في الفلبين، خاصة بعد ظهور وسائل التواصل الإجتماعي و الإنستجرام.

في عام ٢٠١٢ صفت مجلة «تايم» مصطلح «سيلفي» كأحد أفضل ١٠ كلمات رنانة في العالم.

وفي عام ٢٠١٤ احتلت مدينة ماكاتي في مانيلا المرتبة الأولي كأفضل مدينة لإلتقاط الصور السيلفي، وحصلت على لقب «عاصمة السيلفي في العالم» ويقال أن سبب ذلك هو ان ماكاتي لديها الكثير من الأماكن المثيرة للإهتمام التي يمكن زيارتها لتناول الطعام والترفية وأحيانا يقابل الناس بعض الشخصيات المعروفة والتي يرغبون في إلتقاط صوراً معهم أو لأنفسهم. ولأن الفلبينين شعب اجتماعي ويحب مشاركة كل اللحظات السعيدة مع الأصدقاء أو العائلة، واحتلت مدينة باسيج المركز الثاني، وجاءت مدينة سيبو في المركز التاسع.

وبالنسبة لبلد احتل المراكز الأولى في إلتقاط الصور السيلفي فقد افتتح في مانيلا بعض المتاحف التي تكسر الصورة النمطية للمتاحف أحد هذه المتاحف هو متحف (الفن في الجزيرة) الثلاثي الأبعاد.

في أغلب المتاحف غير مسموح بإلتقاط الصور أو إيقاف تشغيل الفلاش، لكن متحف الفن في الجزيرة يسمح للزوار بالتفاعل مع اللوحات ليكونوا جزءا منها وإلتقاط الصور ومقاطع الفيديو، كل ما عليك هو خلع حذائك وتنطلق في مغامرة رائعة.

المتحف مليء باللوحات التفاعلية التي تمتد من الأرض الى السقف و التي عندما تصويرها من زوايا معينة، تخلق أوهام بصرية التي تجعل الأمر يبدو كما لو أنك جزءا من اللوحة.

علي سبيل المثال يمكنك أن تبدو وكأنك داخل فم تمساح عملاق، او محاصرا داخل قارورة زجاجية في وسط المحيط، وكل منطقة بالمتحف ذات سمة مختلفة عن الأخرى، عندما دخلت الى المتحف رأيت أمامي لوحات شهيرة من جميع أنحاء

العالم مثل (لوحة ليلة النجوم لفان جوج، و الموناليزا لدافنشي و الصرخة لإدوارد مونش إلخ.)

وانتقلت الى مناطق مختلفة، ذهبت في رحلة الى الغابات، و خضت مغامرة تحت الماء حيث رأيت عدد كبير من الأسماك الرائعة وأخذت قارب في البندقية، وساعدت سانتا كلوز في توزيع هدايا عيد الميلاد ورحت أسير من مكان لأخر حتي وصلت الي مصر القديمة وذهبت في رحلة مع العلماء والمستكشفين لمعرفة اسرار الحضارة المصرية القديمة بدءا من عملية تحنيط المومياوات وفهم اللغة الهيروغليفية للتعرف علي مصر القديمة وكيف كانت تبدو الحياة قبل آلاف السنين.

* * *

إنه لشعور بالفخر أن أجد إهتمام العالم بحضارتنا وكيف يتسابق الزوار لإلتقاط صورة أمام الأهرامات الشامخة أو بجوار احد الملوك العظماء.

هذا المتحف المذهل أسسه يون جاي كيونغ مع فريق مكون من ١٨ رسام كوري، لقد عملوا سويا وأنشأوا أكثر من ٢٠٠ عمل أغلبهم ثلاثي الأبعاد.

وبعد الانتهاء من جولة المتحف يوجد مطعما صغيرا وبسيطا، هذا المطعم كان المفأجاة! لقد قاموا بإعادة تدوير العديد من الأشياء التي استخدموها أثناء رسم اللوحات كدلو الطلاء، والسقالات، والخردة المعدنية.

ومن متحف الفن في الجزيرة الى متحف "العقل" في مدينة تاجويج الذي يقدم العلم من خلال خمس قصص رئيسية مترابطة عبر خمس صالات تمتد علي طابقين بمساحة تصل الي خمسة آلاف متر مربع، وكل صالة مستقلة بذاتها وتعرض مواضيع مختلفة، وهم:

١- قصة الكون ويعرض تناغم البشرية واندماجها مع الفضاء الخارجي، انه يعرض معروضات تظهر كيف أن الحياة التي نعرفها وجدت بداياتها في النجوم، ويعرض هذا المتحف كل أساسيات الكون من نجوم ومجرات وكواكب ومذنبات وأقمار ومالا نعرفه ويتألف منه الكون.

٢- قصة الأرض ويضم أول معرض دائم لنظريات تكوين وتشكيل وبداية الأرض إلى جانب معارض فريدة أخرى تركز على القوى المؤثرة في إعادة تشكيل الأرض وشكل الحياة عليها.

٣- قصة الحياة ويعرض الكثير من الكائنات الحية المتنوعة وأشكال حياة هذه الكائنات وبالتالي التعرف علي الكثير من المخلوقات على هذا الكوكب.

٤- قصة الذرة وهو يقدم أكبر عدد من المعارض التفاعلية ويحتوي على القوى التى نسلم بوجودها وهي مألوفة جدا لدرجة أننا نأخذها كأمر مفروغ منه مثل الجاذبية، ويعرض أيضا العالم الموازي الذي لا يشبه أي شيء في الحياة الواقعية اليومية ولكنه يشكل الكثير من تقنيات المستقبل.

٥- قصة التكنولوجيا وهو أكبر من جميع صالات العرض الأخرى داخل المتحف، وهى صالة العرض الوحيدة بالطابق الثاني، وتطل على المعارض الأربعة الأخرى.

يقدم هذا المعرض التكنولوجيا ليس فقط كأداة لخدمة الإنسان أو تقدم صناعي ولكن كوسيلة لتجسيد القيم الإنسانية ومساعدتنا على أن نصبح بشراً أفضل.

وهذا المتحف صممة فنانين وعلماء و مهندسين فلبينيون عملوا عن قرب مع العلماء المحليين والدوليين، والهدف من إنشاء هذا المتحف هو توفير تجربة تعليمية تلهم الزوار الفهم العام للعلوم.

وزرت بعد ذلك متحف «الحلوي»، في مدينة باساي، وعندما تلقيت دعوة بزيارة متحف الحلوي ذهبت علي الفور ليس لأن هذه الأنواع من المتاحف ليست محببة للصغار فقط بل يتشاركها الكبار ايضا، ولا يوجد سن معين لدخول المتحف، من يستطيع ان يقول لا للحلوى!

ووصلنا متحف الحلوي.

يقف المتحف على مساحة ١٢٠٠٠ متر مربع، وقبل أن ندخل ألبسونا سواراً أخبرونا أن الجولة في المتحف سوف تستغرق ساعتين و أنه إذا أعجبنا نوع حلوة معين فكل ما علينا هو رفع السوار الي الماسح الضوئي.

يضم ثمان غرف، كل غرفة تتميز بنوع مختلف من الحلوى مثل الدونات، حلوى الخطمي، المثلجات، العلكة، غرفة حفل الشاي واللولى بوب وغيرهم.

تبدأ الجولة بدخول الزوار من ثقب حلوى الدونات الكبيرة الحجم للوصول الى غرفة الدونات، ويتم تقسيم الزوار الى مجموعات بحيث لا تكون الغرفة مكتظة بالناس ويسمح للزائر الإستمتاع بالغرفة في مساحة كافية لالتقاط الصور.

وبداخل كل غرفة دليل يقوم بمشاركة المعلومات الخاصة بكل حلوى، وعرض لحلوى حقيقية من نفس الحلوي التي تعرضها كل غرفة وتذوقها.

والمتحف في حد ذاته يشبه استوديو التصوير الكبير، وعلى الرغم من اسمه إلا أنه وليمة ضخمة للعين اكثر منها للمعدة.

وعلى بُعد حوالي ٣,٥ كم يقع متحف رأسا على عقب، الذى يغطى مساحة ١٧٠٠متر، حيث يتحول العالم الخاص بك رأسا على عقب كأنك تسير على السقف أو الحائط مثل سبايدر مان، وهو متحف مختلف من نوعه،يتكون من أوهام بصرية، تجعل الزائر يشعر فعلاً وكأنه يطير، ويسمح المتحف للزوار بالتنقل بحرية

داخل غرفة والتقاط الصور.

ويقوم الموظفين بتوجيه الزوار الى الوضع الأفضل وطريقة وقوفهم الصحيحة لإلتقاط الصور.

أحد صالات العرض المفضلة للزوار هي المنزل المائل، حيث غرفة الضيوف التى تجعلك تبدو وكأنك تطفو في الهواء وأنت مقلوب، وغرفة النوم، المطبخ، الحمام، وغرفة المعيشة.

تليها منزل المرآة، وهي منطقة تسمح للضيوف بالظهور معلقين على واجهة المبني ؛ثم ركن كيوبيد حيث يمكن العشاق بالتظاهر بأنهم أصيبوا بسهم كيوبيد، والحذاء العملاق الذى يجعلك تبدو صغيراً جدا تحته.

وليس كل شيء في المتحف رأسا علي عقب فهناك أيضا لوحات مثل أغلفة المجلات التي تسمح لك بإلتقاط صورة أمامها لتبدو وكأن صورتك تحتل غلاف المجلة وغيرهم من المشاهد.

هذا المتحف مملوك للزوجين الكوريين إنسون بارك، وكيو سونغ بي، وهو الأول من نوعه في الفلبين.

الشيء المشترك و الممتع في هذه المتاحف هو « المرح».

* * *

5

الطعام بوابتكم لفهم الفلبينيين

إن أفضل وسيلة للتعرف علي الثقافات الأخرى هي من خلال الطعام، وتذوق أكلات البلد المختلفة.

وبسبب سفري المتعدد فقد نصحني أحد الأصدقاء في أول سفرة لى أن أجرب كل شيء، وأي شيء من

الطعام المحلي لأن المطاعم العالمية موجودة بكل بلد تقريباً، وانه يجب أن أجرب الأشياء المختلفة التي تشتهر بها كل بلد لأنني لم أسافر الي الخارج لأتذوق «بيتزا هت أو ماكدونالز».

ولذلك إذا سألني أحدٌ ما هي أكلتك المفضلة؟ لن أجيب.

فلا توجد إجابة محددة لدي، ولكن إذا أصرَّ كما يفعل البعض فسوف أفعل مثل العديد من الفلبينيين الذين سألتهم كم عدد اللغات في الفلبين؟

فتراهم يقولون في مانيلا والمقاطعات القريبة مثل باتانجاس، بولاكان، كافيت، لاغونا، نتحدث التغالوغية وهي اللغة الوطنية.

أما في سيبو وبعض المناطق في ميندناو، فيتحدثون السيبوانو، والإسبانية كانت اللغة الرسمية في القرن السادس عشر، و مازال يتحدث بها بعض الناس، والإنجليزية هي لغة شائعة هنا بسبب الاستعمار الأمريكي..

ويظل يعدد لي أسماء أماكن ولغات مختلفة، فأسأل بشكل مباشر أكثر، هل يمكن أن تخبرني عن عدد اللغات بالتحديد؟

فيجيبني: أنا أتحدث التغالوجية والإنجليزية،....

«عدد اللغات في الفلبين؟»

«١٣،لا !تقريبا ٢٢ أو... »

لست متأكدًا من العدد لأن لدينا لغات كثيرة قد تتجاوز المائة.

وهـو الحـال نفسـه معـي عندمـا يسـألني أحـد عـن أكلتـي المفضلـة، أظـل أعـد لـه أطباقـا مختلفـة أعجبتنـي في كل بلـد زرتهـا، فيكـرر السـؤال: مـا هـي أكلتـك المفضلـة عمومًـا؟

إنـه ليـس بالسـؤال السـهل لأجيبـه، حتـى لـو سـألتني عـن أكلتـي المفضلـة في مـصر فلـن أجيبـك أيضًـا.

لكـن إذا سـألتني الآن مـا هـي اكلتـك المفضلـة في الفلبـين؟ فسـأجيب عـلى الفـور ودون تـردد (لا شيء)، واختيـار وجبـة فلبينيـة لذيـذة أشـبه بالبحـث عـن «إبـرة في كومـة مـن القـش».

والمطبـخ الفلبينـي مُعقـد مثـل لغاتـه المتعـددة وثقافاتـه المتنوعـة، فهـو يجمع بـين الوصفـات الشرقيـة والغربيـة متأثريـن بشـده بالثقافـة الصينيـة والإسـبانية والأمريكيـة والمحليـة في فـن الطهـو المحـلي، مـما أدى إلى مزيـج مـن الروائـح والأذواق الغريبـة التـي يمكـن أن تكـون تجربـة مختلفـة بشـكل كبـير للأجانـب.

في القـرن السـادس عـشر، عندمـا اسـتعمر الإسـبان الفلبـين، وقدمـوا الكاثوليكية للجماهـير، قامـوا أيضًـا بإدخـال النكهـات الجديـدة إلى المطبـخ الفلبينـي، بمـا في ذلـك زيـت الزيتـون، والفلفـل الحلـو، والجـبن، والزعفـران، ولحـم الخنزيـر، والنقانـق.

وفي عـام ١٨٨٩ أصبحـت الفلبـين مسـتعمرة تابعـة للولايـات المتحـدة، مـما جعلهـا تسـتخدم عـلى نطـاق واسـع اللغـة الإنجليزيـة، بالإضافـة إلى الطهـي الملائـم- وتـم إدخـال السندويشـات والسـلطات والهامبروجـر، والدجـاج المقـلي، والتـي أصبحـت جميعهـا جـزءًا مـن خزينـة الطاهـي الفلبينـي.

ومـع تواجـد العديـد مـن الأطعمـة المختلفـة كالنودلـز والمعكرونـة والخبـز إلا أن الأرز لا يـزال هـو الطعـام المفضـل والوجبـة الأساسـية في الفلبـين.

«أعجوبة العالم الثامنة»

تُعدُّ زراعة الأرز شائعة في المجتمع الفلبِّيني، وتُشارِكُهم شعوبٌ أُخرى في ذلك، ولكن حقول الأرز المنحوتة على طول المُنحدرات الجبليَّة الحادَّة في مُقاطَعَة «إيوغاو» بجزيرة «لوزون» هي «أعجوبة العالم الثامنة»، كما يُطلِق عليها الفلبينيون بفَخر قَومي، ويعود إنشاؤها إلى ما قبل ٢٠٠٠ عام على يد شعب الـ«إيوغاو.»

يحكي التاريخ هناك، عندما وجد الإنسان الفلبيني القديم نفسَهُ مُحاطًا بجبال لا يستطيع العيش فيها، فكّر في زراعتها بالأرز، مُستغلًّا الطبيعة والمُناخ لصالح ضَرورات بَقَائِه.

لقد كانت فِكرة زِراعة هذه المُدرَّجات مُهمّة جدًا لبقاء شعب الـ«إيوغاو»، وأصبحَت الفِكرة مُتجذِّرة بِقُوَّة في ثقافتهم حتى أنَّهم نقلوا المعرفة من جيل إلى جيل للحفاظ على هذه الحقول.

ويقول المُؤرِّخون أنّ تلك المُدرَّجات بناها قدماء الفلبينيين بأدوات بسيطة، وربَّما بأيديهم، وتقع تلك المُدرَّجات على ارتفاع ١٥٠٠ متر (٤٩٠٠ قدم) فوق سطح البحر، وتُروى بنظام للريِّ يستقبل مياه الأمطار الساقطة فوق المُدرَّجات.

يستغلُّ الفلبينيون هذه المُدرَّجات الآن كمنطقة جذب سياحي في الوقت الحاضر، ويمكن للسائح زيارة مُدرَّجات الأرز في أوقات مُختلفة من السنة، حَسَب ما تودُّ رُؤيتَه، فإن أَرَدتَ أن تراها خضراء؛ فيمكنك زيارتها من شهر إبريل إلى شهر مايو، أو من أكتوبر حتى نوفمبر، وإذا أردت أن تحضرَ موسم الحصاد؛ فبإمكانك أن تأتي في يونيو وديسمبر، أمَّا الفترة من يناير إلى مارس فهي موسم الزراعة، وتكون المُدرَّجات فيها عارية، وأقلّ إثارة، أمَّا يوليو وأغسطس فلا يُحبذ القدوم فيهما؛ لأنهما مواسم تَساقط الأمطار، ولذلك فإنَّ أفضل وقت للزيارة من سبتمبر وحتى يونيو، حيث الطقس الربيعي المُنعش، ومُدرَّجات الأرز في أبهى حُلَّة.

أُسطُورَة الأَرُز: جِنِّيَّات وسُكر ورَقص.

حكايات ساحرة، يتعامل مع وقائعها السكان الأصليون باعتبارها حقائق تاريخية، أو بالأحرى مُعتقدات قَومية لا تقبل الشك، تدور حول بدايات زراعة الأرز عند أجدادهم، الفلبينيين القُدامَى.

تقول الحكاية، كما تدور هَمسًا من شفاه العجائز لآذان الأطفال والشباب، أنَّ الحياة في قديم الزمان، كانت حُلوة، وبَسيطَة، والناس سُعداء جدًا، حتَّى جاء الوقت الذي ساءت فيه الأمور؛ فالأرض فقدَت خصوبتها على الثمار، والحيوانات فرَّت من الغابات، ولم يَعُد بإمكان الرجال الاعتماد على الصيد، وحزنت النساء، وخافت الأمهات على مستقبل أطفالهن، ودخل الهمُّ والغمُّ على شعب المدينة.

قرّر الرجال الصعود إلى الجبال لتجربة حظَّهم في الصيد هناك، فربَّما يستطيعون الحصول على شيء لإطعام عائلاتهم، وبعد أن غربت الشمس، وأشرقت النجوم، كانوا مُتعبين من تَسلُّق الجبال ببطون جائعة، وأجواء شديدة الحرارة، فقرَّروا التوقّف لأخذ قسط من الراحة لبضع دقائق في ظلال القمر، الأشجار الضخمة والطويلة، وبينما كانوا جالسين على الأرض المعشوشبة الطّريَّة، مرَّت عليهم بنات عذراوات، لم يروا في جمالهنّ وحسنهنَّ أحدًا، وتقول الحكاية إنَّ أولئك النسوة جِنِّيَّات، جِنِّيَّات قويَّة وخَجُولة...

دعت الجِنِّيَّات الصَّيَّادين أن يتبعوهنَّ حتَّى الكهوف القريبة من الجَبَل، ولمَّا دخلوا الكهف، شاهدوا المزيد من الجِنِّيَّات، كنّ في استقبالهم، بدا الأمر كما لو كانوا في عالم آخر، عالم سحري حيث توجد الجِنِّيَّات الجَميلات، وفي غَمرة دهشتهم وتوجسِّهم، ظَهَرَت فجأة أمامهم الجِنِّيَّة المَلِكة، فازدادوا دهشةً وحيرة.

فهل هذا كان مُجرَّد حُلم؟، إذا سألتم أحد الفلبينيين عن ذلك، فسيدافع عن واقعية الحلم، وصدق الأسطورة بمُبرَّرات كثيرة، ويطرح أمامكم هذا التساؤل: كيف يكون لهم جميعًا نفس الحُلم؟، هذا لا يمكن أن يكون حلمًا، هذا حقيقي.

وبعد ظهور الجِنِّيَّة الملكة، بدؤوا يَستَمتِعُون، ويُغَنُّون، ويَرقُصون، لقد كان احتفالًا كبيرًا، وكان أوَّل شيء خَطَف أبصارُهم هو الحَجم الكبير للكؤوس المُترَعَة

بالأطعمة البيضاء التي لم يروها من قبل، ولم يستطيعوا أن يغضُّوا أبصارَهُم عَنهَا، لأنهم لم يروا أيَّ شيء مثله من قبل، لقد كانت الآلآف من تلك الحبوب البيضاء تَملأ كؤوسَهم.

وفي النهاية، عندما انتهى الاحتفال، أكلوا الحبوب البيضاء التي كانت في الكؤوس، وتحوَّلَ الرجالُ إلى أطفال، عادوا أطفالًا مرَّة أخرى ولكن بقُوَّة الكِبار، وطَلَبَت منهم الجِنِّيَّات الجميلات شُربَ الخمور البيضاء، ومَنَحَهُم هذا «المعرفة".

وبينما كان الأطفال الرجال على وشك مُغَادَرة الكَهف، تَحَدَّثَت إليهم مَلِكَة الجِنِّيَّات قَائِلَة: «سَوفَ أُعطِي كُلَّ واحدٍ مِنكُم بعضَ الحُبوب، ازرَعُوهَا في المَواسِم المَطيرة، أعلم أنَّ لديكم جميعًا قلوبًا طَيِّبَة، لِهَذا السبب أَنَا أَعلَمُ أنَّ هَذِهِ الحُبوب ستُنبَتُ، النباتات سوف تحمل الحبوب، احصُدُوهَا، ثمّ قُومُوا بقَصف الحبوب المَحصُودة وتَنظِيفِهَا، سوفَ يُطلَقُ على هذه الحُبوب اسم «الأرز»، اطُهوه، وهذا سيكون مصدر طعامكم، وهذه هي هَديَّتي إلى البَشَر، اذهبوا الآن، وعودوا إلى منازلكم.

دعت الجِنِّيَّات الصَّيَّادين أن يتبعوهنَّ حتَّى الكهوف القريبة من الجَبَل، ولمَّا دخلوا الكهف، ظَهَرَت أمامهم الجِنِّيَّة المَلِكة، فازدادوا دهشةً وحيرة.

لقد اتبع الصيادون تعليمات الملكة بالحرف، وأصابت الدهشة عائلاتهم، فقد كان طعم الحُبوب لذيذًا، لقد كانَت أوَّل مَرَّة يتناولُ فيها النَّاس الأرز، ومنذ ذلك الحين تعلَّموا زراعة الحبوب في كل موسم مُمطر، وكانت هذه هي بداية زراعة الأرز؛ لذلك يُعتبر الأرز أكثر من مُجرَّد غذاء في الفلبين، فاللُّغة الفلبينية تحتوي على عِدّة كلمات مختلفة للأرز، فهو معروف مَحلِّيًا باسم "palay" (الأرز غير المطحون)، و"bigas" (الأرز المطحون)، و"kanin" (الأرز المطبوخ).

الأرز في الفلبّين مثل الخُبز في مِصر

(إذا أهدر أيّ شخص أرز أو ألقى به، فستُشوَّه يدُه، ولن يَعرِف أبدًا وَفرةً أو رخاء)، هكذا يتحدث الفلبينيون عن الأرز، فهو الغذاء الرئيسي في الفلبين، ولا يُستخدَم أيّ طعام آخر على نطاق واسع هناك مثل الأرز؛ فيتناولونه ثلاث مرات يوميًا في وجبات الإفطار والغذاء والعشاء، ذَكَّرني ذلك بعلاقتنا نحن المصريين بالخبز، لا نقبل أيّ طعام في أيّ وجبة بدون أرغفة الخبز.

وكانت الفلبين في السابق من أكبر الدول المُصدِّرة للأرز في العالم، ولكن بحلول القرن الواحد والعشرين ازداد عدد سكانها، وبالتالي زادت احتياجاتها، وتقلّص إنتاجها من الأرز إلى الحدِّ الذي لم تكن فيه الجمهورية تُوفِّر ما يكفي لحاجة سكّانها، وكانوا مضطرين إلى الاستيراد من الصين، وجنوب شرق آسيا لتلبية الطلب.

وتُعدّ الفلبين ثاني أكبر مستورد للأرز في العالم، ومنذ ذلك الحين تحاول الحكومة الفلبينية زيادة نسبة إنتاج الأرز المحلِّي لِتُغطِّي احتياجات سُكَّانِها.

وطرق طهي الأرز في الفلبين عديدة، فهم يطهونه على البخار أو مقلي، أو مطحون ويصنعون منه المعجنات والحلويات، ويمكن حتى تحويلة إلى خمور قوية تعرف باسم «تابوي» وهو نبيذ أصلي من أرز مخمر، وغالبًا ما يستخدم كنبيذ احتفالي يقدم خلال المناسبات الخاصة والمهرجانات.

وتوجد أنواع أخرى من «نبيذ الأرز» يتم إنتاجها في مينداناو وهي « بانجاسي» و « كولابو « وهو نبيذ ذو لون محمر مع رائحة قوية ونسبة عالية من الكحول.

وتوجد أطباق من الأرز ذات الأصل الإسباني مثل "Champorado"، "Paella"، "ArrzoCaldo"" وهناك أطباق أرز محلية مثل "Sinangag" (الأرز المقلي بالثوم) وهناك أيضا حساء حامض يسمي سينجانج و" Puto" (كعكة الأرز على البخار).

يلي الأرز المأكولات البحرية وهي متوفِّرة بكثرة في الفلبين، وأسعارها معقولة وهي المصدر الرئيسي للبروتين في النظام الغذائي هناك؛ ولكن في النهاية لا طعام يدنو من مكانة الأرز في قلوب وبطون الفلبينيين.

تليه الأسماك، إن وفرة الأسماك في البلاد جعلت من المأكولات البحرية وجبة غذائية شائعة في معظم الأسر، ويقدم أيضًا مع الأرز والخضروات ويصنع من الأسماك حساء يسمَّى أيضا السينيجانج وهو حساء يتميز بنكهته الحامضية التي

تطهو مع التمر الهندي والخضروات المختلفة مثل الفجل والبامية والفاصوليا والطماطم والباذنجان والفلفل الأخضر. ويقدم الحساء مطهو مع السمك أو الدجاج أو اللحم.

وكان الطبق المفضل لي من وقت أن زرت الفلبين ودائمًا ما أطلبه في أي مكان أذهب إليه، فهو الطبق الوحيد الذي استطعت أن أتناوله، فغالبية الطعام في الفلبين له طعم غريب ولم أستحسنه، يليهم دجاج أدوبو وكلمة أدوبو مشتقة من الكلمة الإسبانية «أدوبار» Adobar وتعني (ماء مالح، نقيع) بالإسبانية لأن الدجاج أو لحم الخنزير ينقع في خليط من صلصة الصويا والخل، ثم تتم إضافة المكونات الأخرى حسب نوع الوصفة.

بيض بالكتكوت

ليست هذه هي الأطعمة الأكثر شهرة في الفلبين، وحلوة المذاق أيضًا بل توجد أطعمة أكثر شهرة وابتكارًا منها، ولا تكتمل رحلتك الى بلد دون تجربة أكلات الشارع المختلفة، والشعب الفليبيني لديه الكثير ليقدمه من الأكلات المبتكرة والغريبة والمثيرة للجدل، خاصة لزائرين قادمين من منطقة بعيدة كالشرق الأوسط، مثلنا.

وأكثر الأطعمة شهرة ومثيرة للجدل في الوقت نفسه هي «البالوت» وإن سألت أي فلبيني عن «البالوت» فسوف يضحك على الفور، ربما ؛ لأنه يعرف المغزى وراء سؤالك.

وإذا أعدت السؤال عليه مرة أخرى: هل تأكل البلوت؟

فستجده يصمت قليلًا ثم يبدأ بتحليل فؤائد البلوت لك.

حتى تسأله ثالثة بشكل مباشر: هل تأكله؟ فيجيب على الفور: نعم، أحيانًا، لكن....

لأنه بصراحة حتى أولئك الذين قد نصفهم بـ» الأكيلة» أو كما نقول بالمصري «معدته تهضم الزلط»

قد يشمئزون عند رؤية بويضة البيض، فهي ليست بيضة مسلوقة مثل بقية البيض العادي الذي سبق لك رؤيتة، فبجانب الصفار يوجد كائن صغير جدًا من جنين البط، إن رؤيتك حيوان صغير داخل بيضتك المسلوقة سيكون شيئًا مفزعًا

لك وربما تضرب عن أكل البيض مدى الحياة، ولكن في الفلبين هو شيء عادي ومستحسن.

يعود أكل «البالوت» في الفلبين إلى عصور قديمة، القرن التاسع عشر، ورغم مرور السنوات، ودخول الثقافات، إلا أن طريقة إعداد «البالوت» لم تتغير كثيرًا.

تبقي شيء هام، ما هو البالوت؟

سألته.

وبعد شرح طويل عرفت أن البالوت هو بيض البط الملقح الذي صار عمره تحت البطة الراقدة ١٨ يوما.

تبدأ عملية طهيه عن طريق سلق البيضة بنفس الطريقة التي يتم بها سلق البيض العادي، لكن التفاعل الذي يحدث داخل بويضة البالوت مختلف تمامًا عن البيض العادي، لأن السوائل الموجودة في البالوت تتحول فيها إلى سائل رطب (نوع من المرق) الذي يغلي بجنين البط والصفار.

ولأن البلوت ليس طعامًا عاديًا، فطريقة تناوله غير عادية أيضًا، وهي أن تشق حفرة صغيرة في الجزء العلوي من القشرة، وتشرب أولًا حساء الدجاج، وبعد ذلك يؤكل الجنين وصفار البيض، ويمكنك إضافة التوابل كالملح، الفلفل الحار، الثوم أو الخل.

ووفقًا للذين أكلوه فقد قالوا إن طعمها يشبه طعم الدجاج، وأفضل مكان لتناول البالوت هو السوق المحلي إذا كانت لديك الرغبة في التجربة، أو أن تكتفي بمشاهده الناس وهم يأكلونه فقط مثلما فعلت أنا.

يلي البالوت في الأكلات المثيرة للجدل «الإيساو»، إلا أنه أقل إثارة من البالوت.

«الإيساو» هو أمعاء الدجاج والخنزير الملفوفة على سيخ، تُشوى، بعد أن يتم تنظيف الأمعاء أكثر من مرة، ثم قلبها إلى الداخل، وتنظيفها مرة أخرى.

ويمكنك أن ترى هذه الوجبة بكثرة خلال فترة ما بعد الظهيرة، مع البائعين في الطرقات، الذين لا يبيعون «الإيساو» فقط بل ستجده يبيع أيضًا (Atay) الكبد و(Adidas) وهي ليست ماركة الأحذية الرياضية المعروفة ب أقدام الدجاج المشوية، والتي عادة ما تكون متاحه لديهم.

وتعد أقدام الدجاج من الوجبات الخفيفة «سناكس» في العديد من البلدان كإندونيسيا، تايلاند فيتنام، كوريا، كمبوديا وأمريكا الجنوبية، وتطهى بعد إزالة الأظافر، ونزع الطبقة الخارجية الرقيقة من الجلد، وتقدم مقلية أو مشوية أو

مسلوقة في حساء خاص بها.

وكويك كويك kwek kwek وهو بيض السمان المسلوق والمغموس فى عجينة برتقالية ومقلي بعمق.

وبعد هذه المغامرة فلابد من تحلية تغير هذه المذاقات المختلفة والفلبينين يفضلون الإيسكرامبول iskrambol (آيس كريم) وهو حليب مكثف مجمد بنكهة الموز، ثم يضاف إليها الألوان المحتلفة وأشهرها الوردي، ويباع أيضا في الشارع وأمام المدارس في صناديق خشبية كبيرة. وهو المفضل لدى الكبار والصغار.

تاريخ أكلات الشوارع

للفلبينين علاقة حب خاصة مع الطعام، لم تكن أكلات الشارع دارجه قديماً في الطعام الفلبيني، ففى الخمسينيات من القرن الماضي كانت إمدادات الماشية وفيرة لدرجة أن البائعين المتجولين كانوا يبيعون كميات كبيرة من اللحوم، مثل لحم الخنزير والدجاج المشوي، ولكن عندما ضربت الأزمة الإقتصادية البلاد عام ١٩٧٠ بدأ الباعة يبيعون الأجزاء المهملة من الحيوانات والطيور وأصبحت وجبات مشهورة أحبها الناس.

******

في طريق العودة إلى المطار سألني السائق هل ترغبين أن نأخذ الـ *»سكاي واي» Sky Way ؟ أجبته على الفور نعم.

أتذكر عندما وصلت الفلبين، وركبت السيارة التي أخذتها من المطار، سألني السائق السؤال نفسه، ولأنها كانت أول مرة لي في الفلبين فلم أفهم مقصد السائق حينها.

ولم أكن أعرف ما هو الـ «سكاي واي»، إلا بعد ذلك.

ووقتها أجبته بأن يذهب من أي طريق، فسار تلقائيًا من الطريق العادي لأنني لم أمنحه إجابة محددة، وربما اعتقد أنني لا أرغب في دفع رسوم الطريق، التي تقدر بـ٤٥ بيزو.

كان الطريق مزدحما للغاية، وطلبت من السائق أن يحاول الذهاب من طريق آخر، طريق مختصر أو أقل ازدحامًا، أجاب بهدوء : لهذا السبب سألتك في المطار أن نأخذ «الإسكاي واي» لكنك لم توافقي!.

اندهشت، وتعجبت، لم أوافق؟ كيف؟ وما أدراني بالإسكاي واي، هل تعتقد أنني أعرف أسماء الطرق في الفلبين؟ إنها زيارتي الأولى ولا أعرف شيئًا هنا سوى اسم الفندق الذي سأمكث فيه الآن، وأسماء بعض المعالم الهامة التي وضعتها في قائمتي لزيارتها.

«لماذا لم توضح لي؟»

أجاب : اني لم اسأل.

---

*يقع سكاي واي داخل منطقة مانيلا، ويمرُّ الطريق السريع المرتفع عبر ثلاث مدن هي: مدينة مكاتي ومدينة باساي ومدينة باراناك.

info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007